العدد رقم 1

مجلة الشؤون العربية والعربية-الشتاتية

الجالية

الجالية
مجلة الشؤون العربية والعربية-الشتاتية

العدد رقم 1
البرازيل، مارس/آذار - 2026

الهيئة التحريرية الاستشارية
جواكيم كارلوس الراسي (الجامعة البابوية الكاثوليكية في ساو باولو).
صفاء جبران (جامعة ساوباولو)
سلام راسي (جامعة إدنبرة)

الإدارة العامّة والإخراج: غوستافو الراسي ويارا عثمان
الإدارة التحريرية: طلال بوخضر وغوستافو الراسي
الغلاف: يارا عثمان
التصميم والتنسيق الفني: غوستافو الراسي ويارا عثمان
تحرير ومراجعة اللغة العربية: طلال بوخضر ويارا عثمان

جميع الصور متاحة للاستخدام العام، باستثناء تلك التي تم إرفاق رابط لها مع الإشارة إلى حقوق النشر.

تكرّم كل من جواو سوزا ودوغلاس لامبرت بمشاركة أعمالهم الفنيّة للاستخدام ضمن العدد (حقوق النشر محفوظة).

المانيفستو

تعاونوا معنا

الجالية: مجلة الشؤون العربية والعربية-الشتاتية
توزيع إلكتروني مجاني غير ربحي.

الجَالِيَةُ

الفهرس

الافتتاحية 7

تاريخ - سياسة - مجتمع

أمس واليوم 12
مصطفى لطفي المنفلوطي

نزاع بين العرب المسلمين والمسيحيين في سلفادور بولاية باهيا عام 1914 16
أدما مهنا

أديب الشيشكلي: ظل الديكتاتور من دمشق إلى البرازيل 32
غوستافو الراسي

نواس الرأس (نعم – لا) نزاع الحاكم والمحكوم 46
موفق الحجّار

ثقافة - فنون - آداب

على حدود ثقافتين: نبذة عن رضوان نصّار وأعماله
صفاء جبران 58

معرض الجالية
جواو سوزا 66

إن كان لا بدّ أن أموت
دوغلاس لامبرت 82

مراجعات الكتب

الحدود الفلسطينية: التحليل النفسي كممارسة للمقاومة
ماركوس فينيسيوس نيتو سيلفا 88

في جعبة الظرفاء

شرحو
سامي يواكيم الراسي 98

نبذة عن المؤلفين

102

الافتتاحية

قبل عامٍ من الآن، أبصَر العدد صفر من مجلّة الجَالية النور، عكفنا آنذاك على صِياغة بَياننا التأسيسيّ، واضعين المبادئ المُوجِّهة لعَملِنا في مُحاولةِ استعادةِ الإرث الفكريّ العربيّ وتعميق البحث في قضايا الشتات، واليوم، نضع بين أيديكم عددنا الأول؛ ثمرة جهدٍ دؤوب نهدفُ من خلاله إلى مدّ جسور المعرفة، وفتح آفاقٍ فكريّة مُشرَّعة لكل من ينشد التّجديد والعبور نحو رؤى مغايرة.

تُحاول الأفكار المَنشورة في هذا العدد الرّبط بين الماضي والحاضر، ساعيةً لرسم ملامح التمثّلات الجَماعيّة التي تصوغ إدراكنا للواقع، والتأكيد على التّرابط بين المسارين السياسيّ والفرديّ بوصفهما مرآة للجماعة وتجسيدًا للظّواهر التي تَمنح مجتمعنا شكله وكينونته في مواجهةِ أخطارٍ لا تَنفكّ تَتجدّد.

بين سوريا والبرازيل، ومن لبنان وفلسطين إلى مصر وتونس، يَتحرّك هذا العدد عبر هذه الفضاءات الجغرافيّة والرّمزيّة مُحافظًا على موقفهِ النّقديّ ورُؤيته من خلال هذه المَسارات التي يتشكّل بها ويُسهم بدورهِ في صياغتها. فمِن القراءة التّاريخيّة إلى الرُّؤية النقديّة، ومن عوالم الشّعر والتّرجمة إلى رِحاب الفنون بكُليّتها، نحاول أن نُقدّم مشهدًا متنوّعًا من النّصوص والتجارب التي تتقاطع جميعها في سؤالٍ واحد: كيف نُعرِّف ذواتنا اليوم ونحن نقتفي أثر الهويّة بين ذاكراتٍ متعدّدة وأماكن متباعدة؟

لم يكن بالتالي من قبيل المصادفة أن نفتتح العدد باستعادة نصٍّ للأديب مصطفى لطفي كان قد خصَّ بهِ مجلّة الجالية الأمّ في عددها الصّادر أثناء فترة عيد الميلاد عام 1923، أي قبل أشهر قليلة من رحيل صاحبه. يتأرجح نصّهُ المعنون «أمس واليوم» في تلك المنطقة الفاصلة بين الرّسالة والمقالة والقصّة، مُعالجًا قضايا الفضيلة والرّذيلة بلغةٍ تمزجُ بين الحسّ الإصلاحي والنّبرة التأمليّة، بما يحاول تحفيز القارئ للتّساؤل عن تلك الغَشاوة التي نضعها طوعًا على أبصارنا في حياتنا اليوميّة، ركونًا إلى يقينٍ زائفٍ أنّنا وحدنا من يدرك جوهر الفضيلة ويُدرك مُمارستها على وجهها القويم.

ومن استعادة الماضي ننتقل إلى المُقاربة البحثيّة التي تقدّمها أدما مهنّا بعنوان «نزاع بين العرب المسلمين والمسيحيين عام 1914 في مدينة سلفادور عاصمة ولاية باهيا». يَستنطق النص حادثة من أرشيف الصّحافة البرازيليّة آنذاك، كاشفًا عن تعقيدات صورة العرب مطلع القرن العشرين في واحدةٍ من أكبر المُدن البرازيليّة، بكلّ ما تحمله تلك الصّورة من التباسات وتَمثّلات مُتناقضة. النصّ لا يكتفي بتفكيك الصّورة النمطيّة الشّائعة في البرازيل اليوم عن المهاجر العربيّ المُنضبط والمُجتهد في عمله، بل يَضعنا أمام تجليّات أَشكال العنصريّة، الصّريحة منها كما الضمنيّة، المُوجّهة ضدّ العرب عمومًا وضد المسلمين على نحوٍ أكثر تحديدًا، مؤصّلًا بذلك لمرجعيّات ضروريّة في فهمِ تاريخنا في الشّتات.

وفي سياقٍ مُتّصل يَرصدُ ستينيّات القرن العشرين، يَستحضر غوستافو الراسي المَسار التراجيديّ لأديب الشيشكلي، الرئيس السوري الأسبق الذي اغتيل في البرازيل. ومن خلال هذه الحادثة، التي قلّما تحضر في الذاكرة البرازيليّة، يفتح النص فضاءً للتأمّل في مفارقات التاريخ وتقاطعاته غير المُتوقّعة بين سوريا والبرازيل، في مشهدٍ يوحي بأنّ التاريخ لا يكفّ عن إعادة نفسه بصورٍ شتّى.

وتحت عنوان «نَوّاس الرأس (نعم ولا): الصّراع بين الحاكم والمحكوم» يُقدّم موفق الحجّار مقالًا يشتبك مع التّساؤلات التي تركَها الراسي مفتوحة. يتأمّل الحجار في المناخ السّياسيّ والاجتماعيّ السّوري خلال لحظات التحوّل الحادّة، وفي الآليات الأيديولوجيّة التي تدفع المجتمعات إلى إعادة إنتاج أنماط السّلطة والطّاعة، مُستندًا إلى أفكار دريدا وألتوسير والكواكبي، ليطرح سؤالًا أخلاقيًا بسيطًا يزداد إلحاحًا: كيف يمكن قول «لا» في لحظة يبدو فيها كل شيء قابلًا للنواس والتردّد؟

وفي قسم الأدب، نُشارككم ترجمةً ومُقدِّمة من إعداد صفاء جبران لفصلٍ من رواية حرث قديم «*Lavoura Arcaica*» للكاتب البرازيلي-اللبناني رضوان نصّار الحائز على جائزة كاموينس (أرفع جائزة أدبيّة في اللغة البرتغاليّة) والذي يُعدّ من أبرز روائيي الأدب البرازيليّ المعاصر. تعكس روايته توتّرات تجربة العائلة العربيّة في البرازيل، مشتبكةً مع مفاهيم السُّلطة والأبويّة والحريّة والحياة العائليّة.

في مقابل هذه التّرجمة، تزدان النّسخة البرتغاليّة للعدد بترجمة يارا عثمان لقصيدة «إذا كنت شعبًا عظيمًا» للشّاعر الثّوري التّونسي الرّاحل محمد الصّغير أولاد أحمد، في ما نعتقدُ أنّها السّابقة الأولى لنقلِ أيّ من قصائده إلى برتغاليّة البرازيل.

أمّا الرواية البصريّة فيخطّها المصوّر البرتغالي المقيم في بيروت جواو سوزا، يقدّم من خلالها شهادة فوتوغرافيّة وتجربة شخصيّة للأحداث التي عصفت بلبنان منذ السابع من تشرين الأول/أكتوبر 2023 وصولًا إلى اغتيال حسن نصر الله.

ويستمرّ الحضور الفنيّ عبر قصّةٍ مُصوّرة أنجَزها دوغلاس لامبرت اقتباسًا عن قصيدة لرفعت العرعير، في تجسيدٍ لطموحِ الجالية بتطوير صيغتها الرَّقميّة عبرَ إدماجِ فنّ القِصص المُصوّرة فيها وبثّ الحياة في الكلمات من خلال الصّورة.

وفي مراجعات الكتب يتناول المحلّل النفسي والمحرّر في دار إديسويس إينانديكواداس «Edições Inadequadas» ماركوس فينيسيوس نيتو سيلفا كتابَ التّحليل النفسي تحت الاحتلال «*Psychoanalysis Under Occupation*» للمؤلفَين لارا واسطفان شيحا. يتساءل سيلفا عن دور هذا العِلم في سياق الاستعمار: هل هو أداة للفهم والتحرّر؟ أم آليّة لإعادة إنتاج المعاناة عند ادّعاء الحياد؟

ونختم، وفاءً لتقليدنا بطرفة عنوانها «شرحو» مُستعادة من أرشيف عدد الجالية الصّادر في 30 تشرين الثاني/نوفمبر 1923 والتي نُشرت في قسم «في جعبة الظرفاء» لتعيد تذكيرنا بأنّ الدُّعابة والمُفارقة كانت دومًا وثيقةً تاريخيّة ومرجعِ بحثٍ وتحليلٍ اجتماعي.

هكذا يجتمع هذا العدد على اختلاف مواده بحساسيّة مشتركة تجاه التّاريخ والذّاكرة والأسئلة التي تطرحها التّجربة العربيّة الأمس واليوم، شاكرينَ كلّ من سَاند الجالية في عامها الأوّل، آملينَ أن تَجدوا في صفحاتها بابًا للمزيدِ من الأسئلة.

فريق التحرير
فبراير/شباط 2026

تاریخ

سیاسة

مجتمع

أمس واليوم

مصطفى لطفي المنفلوطي خصيصًا لمجلّة الجالية

نشر في العدد 51 من مجلة الجالية بتاريخ 25/12/1923

عندي أنّ الفضيلة والرذيلة كالجمال والقبح أمران اعتباريان يختلفان باختلاف الأمكنة والأزمنة. فكما أنّ الجمال في أُمّة قد يكون قبحًا في أُمّةٍ أخرى، كذلك الفضيلة في عصر قد تكون رذيلة في عصرٍ آخر. ليست الفضائل والرذائل أسماءً توقيفية كأسماء الله تعالى لا يمكن تغييرها ولا تبديلها، وليست الفضيلة فضيلةً إلّا لأنّها طريق السعادة في الحياة، ولا الرذيلة رذيلةً إلّا لأنّها طريق الشقاء فيها. فحيث تكون السعادة في صفة فهي الفضيلة، وإن كانت صفة اللؤم، وحيث يكون الشقاء في صفة فهي الرذيلة، وإن كانت صفة الكرم.

اعتاد علماء الأخلاق في كل زمان وفي كل مكان، من عهد آدم إلى اليوم، أن ينشروا في كل كتاب يؤلفونه أو رسالة يدوّنونها جدولين ثابتين لا ينتقلان ولا يتلحلحان، يكتبون على رأس أحدهما عنوان «الفضائل» وتحته كلمات الشجاعة والكرم والأمانة والوفاء والعفة والمروءة والصدق والعدل والرحمة. وعلى رأس ثانيهما عنوان «الرذائل» وتحته كلمات الجبن والبخل والخيانة والغدر والطمع والدناءة والكذب والظلم والقسوة.

وأرى أنّه قد آن لهم أن يعلموا أنّ الناس اليوم غيرهم بالأمس، وأنّ أساليب الحياة الحاضرة غير أساليب الحياة الماضية، وأنّ كثيرًا من الصفات التي كانت في عهد البداوة والسذاجة رذائلَ يجتويها الناس ويتبرّمون بها ويستثقلون مكانها قد أصبحت في هذا العصر عصر المدنيّة الماديّة المؤسّسة على المنافع والمصالح حالةً واقعة مقرّرة في نظام المجتمع البشري، وأُسسًا ثابتة تُبنى عليها جميع أعماله وشؤونه، فلا بدّ للناس منها، ولا مندوحة لهم إن أرادوا أن يخوضوا معترك الحياة مع خائضيه، من أن يتعلّموها تعلّمًا نظاميًّا، ويدرسوها مع ما يدرسون من علوم الحياة التي يتوقّف عليها نظام معيشتهم ويتألّف منها شأن سعادتهم وهنائهم.

كان الكرم فضيلةً يوم كان الناس يحفظون الجميل لصاحبه ويعرفون له يدَه التي أسداها إليهم، فإذا هوى به كرمه في هوّة الفقر والفاقة، لا يعدم أن يجد بين الذين أحسن إليهم أو عظم في نفوسهم شأن إحسانه مَن يمدّ إليه يد المعونة ليستنقذه من شقائه أو يرفهه عليه. أمّا اليوم وقد أنكر الناس الجميل واستثقلوا حمله على عواتقهم، بل أصبحوا يشمتون بصاحبه يوم تزلّ به قدمه، ويصبّون على رأسه جميع ما في كتب المترادفات من أسماء الجنون وألقابه؛ فليس الكرم فضيلةً، وليس من الرأي الدعاء له والحرص عليه.

وكانت الرحمة فضيلةً يوم كان الناس صادقين في حديثهم عن أنفسهم، فلا يعترف بالبؤس إلّا البائس، ولا يلبس القديم إلّا من عجز عن لبس الجديد. أمّا اليوم وقد ذلّت النفوس، وسفلت المروءات، فلبس ثوبَ الفقر غيرُ الفقير، وانتحل البؤسَ غيرُ البائس، وأصبح نصف الناس كسالى متبطّلين لا عمل لهم إلّا اللجوء إلى ظلال القلوب الرحيمة يعتصرونها ويحتلبون درّتها حتى تجفّ جفافَ الحشف البالي؛ فالرحمة اليوم هي الفقر العاجل، والخسران المبين.

وكانت الشجاعة فضيلةً يوم كان الناس ينصرون الشجاع ويؤازرونه ويتبعون خطواته في طريقه الذي يذهب فيه، فلا يتخلّون عنه ولا يخذلونه حتى يتمّ له ظفره الذي يريد. أمّا اليوم وقد فترت همم الناس ووهِنت عزائمهم، وماتت في نفوسهم الحفائظ والغِير، ووكّل كلّ أمره إلى صاحبه، فإن رأوا قائمًا بدعوة وطنية أو اجتماعية أغروه بالمضيّ فيها، ثم وقفوا على كثب ينظرون ماذا يفعل؛ فإن ظفر هتفوا له وانحدروا إليه يقاسمونه الغنيمة التي غنمها، وإن فشل خذلوه وتنكروا له. فالشجاعة جنون لا يجد صاحبها وراءها إلّا التهلكة والشقاء.

وكانت القناعة فضيلةً يوم كان الفضل هو الميزان الذي يزن به الناس أقدار الناس وقيمهم، ويوم كان الفقر مفخرةً للشريف متى عفّت يده وعزفت نفسه، والغنى مَعَرّةً للدنيء إذا سَفُلَت مساعيه وأغراضه. أمّا اليوم وقد مات كل مجد في العالم إلّا المجد المالي، وأصبح الناس يتعارفون بأزيائهم ومظاهرهم قبل أن يتعارفوا بصفاتهم وأعمالهم؛ فالقناعة ذلّ الحياة وعارها، وبؤسها الدائم وشقاؤها الطويل.

وكان الغضب رذيلة يوم كان الناس يعرفون فضيلة الحلم ويقدّرونها قدرها، ويطأطئون رؤوسهم إجلالًا وإعظامًا لصاحبها. أمّا وقد أصبح الناس أشرارًا يحملون شرورهم على كواهلهم ويدورون بها في كل مكان يطلبون لها رأسًا يصبونها عليه ولا يعجبهم مثل الرأس الضعيف الليّن الذي لا يحسن الذياد عن نفسه؛ فلا خير في الحلم، والخير كل الخير في الغضب.

الحياة معترك أبطاله الأشرار، وأسلحتهم الرذائل فمن لم يحاربهم بمثل سلاحهم هلك عند الصدمة الأولى.

يجب أن يكون الناس جميعًا فضلاء ليسعدوا بفضيلتهم، أو أدنياء ليتّقي بعضهم بأس بعض، أمّا أن يتقلّد سوادهم سلاح الرذيلة، والنزر القليل منهم سلاح الفضيلة وهو أضعف السلاحين وأوهاهما فليس لذلك إلّا معنى واحد، هو أن يهلك أشراف الناس وفضلاؤهم في سبيل حياة أدنيائهم وأنذالهم.

إنّ الدعاء إلى البرّ والإحسان والرحمة والشفقة والعدل والإنصاف والصدق والإخلاص في هذا العصر إنما هو حالة ينصبها الأقوياء الماكرون للضعفاء الساذجين ليخدعوهم بها عن مائدة الحياة التي يجلسون عليها، فيستأثروا بها من دونهم. فلا يدعو الداعي إلى الكرم إلّا لينقل ما في جيوب الناس إلى جيبه، ولا إلى العفو إلّا ليصيب بشرّه من يشاء دون أن يناله من الشر شيء، ولا إلى القناعة إلّا ليقلّل من سواد المزاحمين له في أغراض الحياة ومطامعها، ولا إلى الصدق إلّا ليستمتع وحده بثمرات الكذب ومزاياه.

كلنا يكذب فلمَ يعيب بعضُنا بعضًا بالكذب والتلفيق، وكلنا يبسم لعدوّه وصديقه ابتسامةً واحدة فلمَ نستنكر الرياء والمصانعة، وكلّنا يطمع في أن يكون له وحده جميع خيرات الأرض وثمراتها فلمَ نستفظع الطمعَ والجشع، وكلنا يتربّص بصاحبه الغفلة ليختله عما في يده فلمَ نشكو الظلمَ والإرهاق؟

إنا لا نفعل ذلك إلّا لأنا نريد أن نستخدم الفضيلة في أغراضنا ومآربنا، كما استخدم رؤساء الدين الدينَ في العصور الماضية، وكما يستخَدم رجال السياسة الوطنيةَ في العصر الحاضر.

يجب أن يتعلّم الطفل من أول يوم يجلس فيه أمام مكتب مدرسة أن الموجود في الحياة غير الموجود في الكتب، وأنّ قصص الفضائل التي نقرؤها ونوادر المروءات والكرم والإيثار، وأحاديث الشهامة والشجاعة وعزة النفس وإبائها إنما هي روايات تاريخية قد مضت وانقضى عهدها حتى لا يصبح ناقمًا على العالم يوم ينكشف له وجهه ويرى سوآته وعوراته، وحتى لا يضيع عمره بين التجارب والاختبارات.

وليت الذين يعرفون من شؤون الرذائل ودخائلها فوق ما أعلم يضعون للناس كتابًا مدرسيًا على نمط كتب التاريخ يوضحون لهم فيه كيف يكذب التاجر، ويفسق الصانع، ويُلفّق المحامي، ويدجل الطبيب، ويختلس المرابي، ويُرائي الفقيه، ويصانع السياسي، ويتقلّب الصحافي، ثم يقولون له هذه هي الحياة، وهذا هو سبيل العيش فيها إن أردتها، فإن لم تردها فدونك مغارة موحشة في قمة من قمم الجبال، فعشْ فيها وحدك بعيداً عن العالم وما فيه، وكلْ ممّا تأكل حشرات الأرض واشربْ مما تشرب منه إلى أن يوافيك أجلك.

الشر لا يُقاوَم إلّا بالشر، والظلم لا يُرفَع إلّا بالظلم، وحامل السيف لا يُغمِده إلّا أمام حامل سيفٍ مثله. والسيل الجارف لا يقف عنً جريانه إلّا إذا وجد في وجهه سداً يعترضه، والظالم لا يَظلِم إلّا إذا وجد بين يديه ضعيفًا، والمحتال لا يَحْتَال إلّا إذا وجد أمامه غبيًا. والناس لا يتحامون ولا يتحاجزون ولا يأمن بعضهم بأس بعض إلّا إذا برزوا جميعًا في ميدان واحد يتقلّدون سلاحًا واحداً من نوع واحد.

من أراد الفضيلة للفضيلة فسبيلها المقدّس الشريف معروف لا ريبة فيه فليسلكه كما يشاء، ومن أرادها على أن تكون وسيلةً من وسائل العيش في عصرٍ مثل هذا العصر، وناس مثل هذا الناس، فليعلم أنه قد أخطأ الطريق وأضلّ السبيل.

ما أجمل الفضيلة، وما أحلى منظرها، وما أطيب العيش في ظلالها، لولا أنّ شرور الأشرار وويلاتهم قد حالت بيننا وبينها. فرحمة الله عليها، وأسفًا على أيامها وعهودها.

نزاع بين العرب المسلمين والمسيحيين في سلفادور بولاية باهيا عام 1914*

أدما مهنا

الترجمة عن البرتغالية: ناصر صوان

لا نَعرف تحديداً متى بدأت موجات الهِجرة العربيّة إلى البرازيل، خصوصًا إلى ميناء ولاية باهيا، لكنّ تقديرات صحيفة «أ نوتيسيا» الصّادرة في ديسمبر/كانون الأول عام 1914 تُشير إلى وجودِ نحو 1400 مُهاجرٍ سوريّ في مدينة سلفادور عاصمة الولاية. تورِدُ الصّحيفة أنّهم توزّعوا بين حوالي 1100 مسلم و300 مسيحي كاثوليكي يُرجَّح أنهم من الموارنة.

سِجلّات تلك الفترة تُشيرُ إلى أنّ العَرب كانوا يُذكَرون باستمرار في صفحاتِ الحوادث في جرائد مدينة سلفادور. من العَناوين المُتكرّرة، لا سيما في صحيفة «دياريو دي نوتيسياس»:
"عربي لصّ" (14 أكتوبر/تشرين الأول 1914)، و"عربي مشاغب" (29 أكتوبر/تشرين الأول و10 نوفمبر/تشرين الثاني 1914)، و"عرب مثيرو شغب"، وغيرها.

على سبيل المثال، كانَ المُشار إليه بعبارة "عربيّ مشاغب" في عدد 10 نوفمبر/تشرين الثاني، هو البائع المُتجوّل مونيديو إغناسيو، والذي أساءَ لسَيّدة "ذهبَ إليها ليُحَصِّل دَينًا" في شارع تاباواو. عَلّقت الصحيفة على الحَادِثة بأن وَجّهت دَعوة إلى رئيس الشّرطة تطالبهُ فيها باتخاذ إجراءات صارمة ضدّ هؤلاء "التجّار الجُدد" الّذين ـ حسب ما ورد ـ كانوا يبيعون بضائعهم بالتّقسيط والفائدة.

أما ألكسندر فيريرا، الذي وَصَفتهُ الصّحيفة بـ"العَربي المُخرِّب"، فلا نَعرف على وجهِ التّحديد نوعَ الجُرم الذي ارتكبه، لكن ما نعلمه هو أنّ الصّحيفة ذاتها كانت قد ذَكرت عنهُ في الشّهر الأسبق أنه أَثار شِجارًا في شارع لارانجيراس وأُلقي القبض عليه في مركز شرطة حيّ سيه. وفي ما يخص المدعو جواو عبدون، الذي وصفَته الصحيفة بـ"العربيّ اللص"، فقد ذَكَرَت التّقارير أنّه سَرَقَ أحد أبناء جاليته ويُدعى ميغيل شولين، لذلك تمّ توقيفه أيضًا في ذات مركز شرطة حيّ سيه.

بالرّجوع إلى صُحف مدينة سلفادور لعام 1914، نجد أنّ العرب ذُكروا مَرّتين فقط كضحايا لا كمُعتدين. الأولى في 26 أكتوبر/تشرين الأول 1914، حين نَشرَت صحيفة «جورنال دي نوتيسياس» خَبرًا بعنوان "حادِث عمل"، يُفيد بأنّ العربيّ سليمان إسماعيل المُقيم في شارع لارانجيراس، قَصدَ مستشفى سانتا إيزابيل بعدما تعرّضتْ أصابع يده اليسرى لسحقٍ تامّ نتيجة سقوط برميل من الإسمنت عليها. الحادثة الثّانية وردَتْ في 10 نوفمبر/تشرين الثاني في صحيفة «أو إستادو»، والتي أفادَت بأنّ رجلاً يُدعى لياندرو جوزيه دوس سانتوس اعتُقِل في شارع كارمو لأنّه اعتدى على امرأة عربيّة تُدعى مارثا سليمان بضربٍ مُبرحٍ بعد أن كان "ثملًا إلى حدٍّ ما". تُشير هذه الحالات إلى أنّه كان من النادر ظهور العرب في الصّحف كضحايا للعنف.

أمّا أبرز الأخبار خلال عام 1914 في ولاية باهيا فكانت تلك المُتعلّقة بالتوتّرات الدينيّة والسياسيّة بين المُهاجرين القادمين من الإمبراطوريّة العثمانيّة المُتداعية آنذاك إلى الوِلاية المَذكورة، والتي كانت تُؤثِر في علاقات المُهاجرين بين بعضهم البعض وصلاتهم وانطباعاتهم عن الدّول الأوروبيّة التي كانت تتنافس على النّفوذ في الشرق الأوسط قُبيل اندلاع الحرب العالميّة الأولى في يوليو/تموز 1914. حيثُ وفي أكتوبر/تشرين الأول من العام ذاته انضمّت الدولة العثمانية إلى ألمانيا والإمبراطوريّة النمساويّة المجريّة، بينما وقفت فرنسا وروسيا وبريطانيا في المعسكر المقابل مشكّلةً ما عُرف بالوفاق الثلاثي.

* تتباين الأسماء والألقاب في هذا النصّ وفقًا لتباينها بين صحيفة وأُخرى وكيفيّة نقلها إلى البرتغالية.

في البرازيل سرعان ما أصبح مصطلح "الأتراك" مُرادفًا لمصطلح "العرب" (المُسلمين منهم بالتحديد) . أما مُصطلح "السوريّ" فكان يُطلق غالبًا على العَرب المسيحيين القادمين من لبنان، والذي كان يُعدّ آنذاك جزءًا من سوريا الخاضِعة للحكم العثماني، قبل أن تقع سوريا تحت الانتداب الفرنسيّ بعد الحرب العالميّة الأولى.

في هذا السياق، نشرت صحيفة «جورنال دي نوتيسياس» في 27 أكتوبر/تشرين الأول 1914 خَبرًا بعنوان "مُبارزة شَرِسة" تحدَّثَت فيه عن نزاعٍ بين صاحب دار الأزياء "لا ساماريتان"، "السيد" عماد خليل، و"العربي" ميشيل سونسينو الذي تمّ تقديمه باعتباره من "الأتراك غير المُتحضّرين"، والذي لم يُسبَق اسمه بلقبِ "السيد" في تقرير الصّحيفة التي أفادَت أنّ هذا النّزاع انتهى بشجارٍ عنيفٍ وتَدخُّلِ حرسٍ مدنيٍّ لفضّه واقتيادهما إلى مركز الشّرطة.

من المُرجّح أن "السيد" عماد كان "سوريًا ثَريًا" أي عَربيًا مسيحيًا، وأنّه قد استلهم اسم متجره من متجر باريس الشهير La Samaritaine، الذي افتُتِح عام 1870 وبلغ ذروة شهرته في مطلع القرن العشرين وكان اسمه معروفًا أيضًا في مدينة سلفادور.
من جهتها أفادت صحيفة «أو إستادو» في خبرها عن ذات الحادثة أنّ الخلاف نشبَ بين "عرب" بسببِ "مسائل دينيّة"، ويُعلمنا التّقرير أنّ القصّة بدأتْ عندما شَرع "العربيّان" بمناقشة مسائل دينيّة، ثمّ وفي ذروة النّقاش استشاطا غضبًا ولجآ إلى العنف الجسدي.

1.º Anno — Bahia--(Brazil)--Segnuda-feira 7 de Dezembro de 1914 — N. 69

A NOTICIA

Jornal vespertino, elegante, noticioso e illustrado

Modas, literatura theatros e notas extrangeiras

REDACÇAO, GERENCIA E OFFICINAS RUA CARLOS GOMES, 95 | DIRECTOR-GERENTE ARTHUR MATTOS | ENDEREÇO TELEGRAPHICO «NOTICIA» TELEPHONE N. 133

AINDA O CASO DO HYPOTHECARIO

O resgate só abrangeria o capital particular

Comparece a juizo expontaneamente

OS QUE VOLTAM DA EUROPA

Edú Chaves regressou

في الشهر التالي حَذَّرتِ الصّحيفة ذاتها من اثنين من "رعايا أسعد باشا" بعد أن اعتديا بوحشيّةٍ على امرأةٍ تعملَ في الجّنس بينما كانت "نائمةً بسلامٍ في غُرفتها"، دون ذكر أسباب الاعتداء. مُشيرة إلى أنّ هذين "التُركيّين الغاضِبين" وهما جوزيه غابرييل ومحمد الفلاني كانا مُسلّحين واعتديا بعنف على جوديتي أ. دي جيزوس (11 نوفمبر/تشرين الثاني 1914).

يَبقى الحَدَث الأبرز الذي هزَّ مدينة سلفادور، كاشفًا عن التوتّرِ بين العربِ المُسلمين فيها، هو ما وَقَع يوم الأحد في السّادس من ديسمبر/كانون الأول عام 1914 أمام المبنى رقم 66 في شارع روي باربوزا، حوالي السّاعة السّادسة مساءً، والذي أسفر عن مقتل شخصين هما إبراهيم فيليكس كرايشِتي ومحمد جندية.

تَفرّدت صحيفَة «أ نوتيسيا»، بالإشارة إلى أنّ القتيل الثّاني كان مُسلمًا يدعى زمريني عبد القادر، غير أنّ اسمهُ لم يَظهر لاحقًا في سجلّات الشّرطة، وأنّه أُصيب في الحادث ثلاثة أشخاصٍ نُقِلوا إلى مستشفى سانتا إيزابيل، وهم: إلياس بدر: أُصيبَ بثلاث كدمات في الجبهة؛ سلفادور فيريرا دا سيلفا: أُصيبَ بطلقين ناريَّين في الذّراع والأرداف؛ علي حُبيبي: تعرض لطعنتين إحداهما في الظّهر.

في اليوم التّالي، الاثنين 7 ديسمبر/كانون الثاني، نَشرت الصّحف الخمس الرئيسيّة في المدينة تقارير مُوسَّعة عن الحادثة وجاءت عناوينها على النحو الآتي:

صحيفة موديرنو:
كيف يتردّد صدى الصراع الأوروبي هنا، صراعٌ حادٌّ بين العرب المُسلمين والمَسيحيين، قتلى وجرحى، إجراءاتٌ أمنية.

صحيفة دي نوتيسياس:
صراعٌ بين العرب في منطقة سيه، مسلمون وكاثوليك، قتيلان وثلاثة جرحى، إجراءاتٌ أمنيةٌ مُتخذة.

صحيفة دياريو دي نوتيسياس:
صراعٌ حادٌّ، عربٌ يَشتبكون ويَقتل بعضهم البعض لخلافاتٍ دينيّة.

صحيفة أُو إستادو:
الحرب المُقدّسة، قتيلان، صِراع، إطلاقُ نار، وفيّاتٌ وجرحى، مُسلمون وكاثوليك.

صحيفة أَ نوتيسيا:
طلقات ناريّة متتالية بين العرب في شارع روي باربوزا، مُسلمون "في مواجهة" كاثوليك، ساهمت الحرب الأوروبيّة.... مقتل شخصين وجرح ثلاثة.

TIROS E MAIS TIROS

ENTRE ARABES

Na rua Ruy Barbosa--Mahometanos «versus» catholicos
A guerra europea collaborou...
2 mortos e 3 feridos

Ha muito que entre os arabes residentes nesta capital estabeleceram-se duas correntes, determinando esse facto a actual guerra européa.

Os mahometanos filiaram-se á Cruz vermelha allemã e ha poucos dias deram um festival no cinema Fratelli Vita e os catholicos estão correndo listas de inscripção para effectuarem um festival em favor da Cruz Vermelha franceza.

Ante-hontem, no districto da Sé o arabe Antonio Capezi, catholico, altercou com Josceph Mamedio, mahometano, e com uma navalha feriu este no rosto. O Civil 239 effectuou a prisão de Capezi á ordem do subdelegado da Sé.

Muitos mahometanos chefiados por Mustaffa Jubaile prepararam um ataque aos catholicos, ficando de emboscada no predio n. 66, á rua Ruy Barbosa.

Vindo do cinema S. João passava ás 18 horas por aquella rua, calmamente, o sr. Abraham Felix Crechete, em companhia do seu cunhado Elias Bader, sendo inopinadamente aggredido por Mustaffa Jubaile, Mahomed Hassau Bogdadi, Bader Chaik, Osman Chaih, Taubouk, Ahmed Hassau Kasein, Aly Hubaibi e José Jubaile, que dispararam diversos tiros não somente da rua, mas tambem das janellas do predio n. 66

O aggredido cahiu de bruços fallecendo immediatamente.

O seu cunhado, na lucta conseguiu arrebatar uma faca de ponta e com esta feriu nas costa a Aly Hubaibi.

---Na mesma rua, quasi nos fundos do Thesouro, cahiu ferido por faca e bala o mahometano Zamrini Abdelkader, que falleceu alguns minutos depois.

A policia, pelos srs. subdelegado da Sé e o dr. Martinelli, assim como pelo escrivão do dr. chefe de policia tomaram varias providencias; sendo dentre em pouco porem presos quasi todos que faziam parte do grupo aggressor.

Elias Bader foi preso, quando fugia, pelo capitão Patricio, sendo encontrado em seu poder uma grande faca de ponta, tinta de sangue.

Os mortos foram conduzidos na ambulancia da Assistencia Publica e no carro do Nina Rodrigues para a morgue, onde hoje foram autopsiados.

Os feridos foram recolhidos ao hospital Santa Izabel e são: Elias Bader, com 3 ferimentos contusos na região occipito frontal; Salvador Ferreira da Silva, ganhador de Mustaffa Juvaile com 2 ferimentos por arma de fogo nas regiões externa do braço direito e giutea esquerda, o Aly Hubaibi com um ferimento inciso na região frontal e outro penetrante no bordo do thorax, lado direito.

---O infeliz Abraham Crechete era casado a 1 anno e deixou um filhinho e estava estabelecido á Praça José de Alencar

--Hontem mesmo á noite foram recolhido á Casa de Correcção 12 arabes, envolvidos na scena sangrenta da rua Ruy Barbosa.

--A policia anda no encalço de Mustafa Isbella, apontado como principal responsavel pelos assasinios de hontem, não tendo até as 11 horas de hoje descoberto o seu paradeiro.

--Está servindo como interprete nas diligencias policiaes, o sr. João Raful, arabe e negociante ha muito estabelecido no commercio.

--Para indagações, sobre os crimes de hontem, a policia já effectuou 25 prisões, tendo para isso cercado diversas casas, no districto da Sé.

--E' calculado em 1400 o nnmero de syrios exitentes nesta capital, sendo 1100 mahometanos e 300 catholicos.

التقرير الأصلي من صحيفة «أ نوتيسيا»
سلفادور، 7 ديسمبر 1914.

تختلف تفاصيل الحادثة بين صحيفة وأخرى، لكن قراءة التّقارير مُجتمعة توحي بأنّ الاعتداء بدأ من جانب المسلمين ضدَّ الكاثوليك (ذَكَرت صحيفة واحدة فقط كلمة "مسيحيّين" بدلاً من كاثوليك)، وأنّ بعض الصّحف رَبَطت الحادثة بالصّراع الدّائر في أوروبا آنذاك، كانت إحداها «جورنال دي نوتيسياس».

تبدأ هذه الصّحيفة روايتها بالتأكيد على وجود حالةٍ من التوتّر الدائم بين المجموعتين العربيتين لأسباب دينيّة، وهي توتّرات كانت قد أدّت في السابق إلى مَشاهد دمويّة، غير أنّها هذه المرّة ـ وقد تفاقَمت بفعل الحَرب الأوروبيّة الجارية ـ انتهت بِسقوط قتلى. ووفقًا للصّحيفة، كان العَرب المُسلمون يُؤيّدون ـ دون تَحفّظ ـ موقف الدّولة العثمانيّة التي دَعت إلى "حربٍ مقدّسة" ضدّ المسيحيّين. وفي هذا السّياق قرَّرت مجموعة من المُسلمين المُقيمين في حيّ سالدانيا، في منطقة كونسيساو دا برايا، مهاجمةَ الكاثوليك.

تَذكر الرّواية أنّ نحو ثلاثين منهم توجّهوا لهذا الغرض إلى شارع روي باربوزا، حيث صادفوا العربيّ المَسيحي بدر شايك، وأخذوا يَسخرون منه فأطلقَ رصاصةً نحوهم، ممّا أدّى لتبادل إطلاق نار استمرَّ نحو خمسِ دقائق، وسط حالة من الفوضى تخلّلها إصابة بعض النّساء بنوبات عصبيّة من شدّة الذّعر.

عند انتهاء إطلاق النّار عُثر على جثّتين: الأولى لإبراهيم فيليكس كريشيتي البالغ من العمر خمسةً وعشرين عامًا، وهو تاجرٌ كاثوليكيّ من مواليد بيروت، يُقيم في بيلورينيو رقم 61، متزوّجٌ وله طفلٌ صغير؛ والثّانية لمحمد جميل جندية، مسلمٌ يَبلغ ثمانيةً وعشرين عامًا، وهو بائعٌ متجوّل أعزب من مواليد مدينة طرطوس في سوريا، كان يُقيم في شارع سالدانيا.

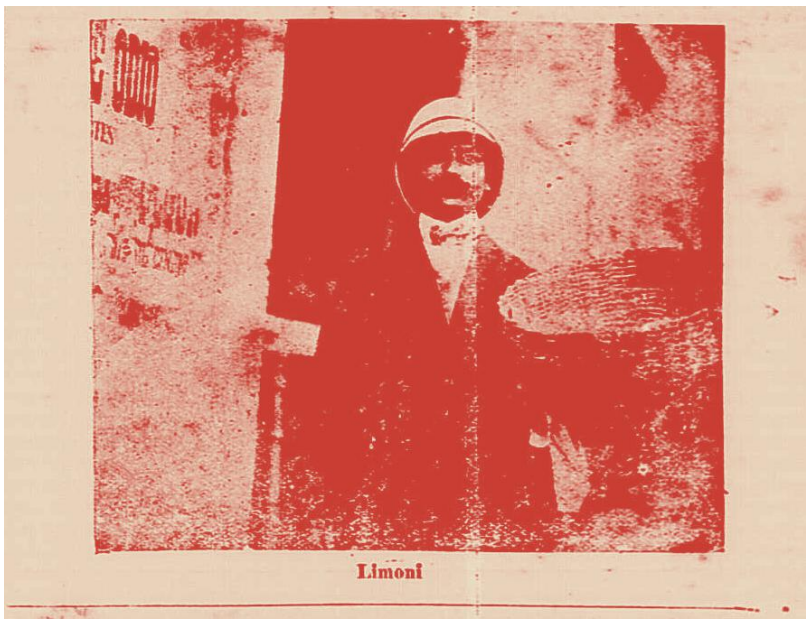

"وقد أُصيبَ الأوّل بطلقةٍ ناريّةٍ في الجبهة، بينما تُوفّي الثاني مُتأثّراً بطعنةٍ في الجانب الأيسر من صدره".

أما الجَرحى فكانوا: إلياس بدر (عامل رخام مسلم يبلغ 29 عاماً)، وعلي حُبيبي (مولود في بيروت)، وسلفادور فيريرا دا سيلفا (موظّف لدى مصطفى إيزابيلي).

أُلقي القبض على إلياس بدر بوصفه المُشتبه به في مقتل محمد جميل جندية، إذ ضُبطت بحوزته سكّين مُلطّخة بالدّماء، لكنّه صَرّح في مركز الشّرطة بأنّه كان يُدافع عن نفسه بعد تعرّضه للاعتداء. كما اعتُقل عدد آخر من العرب، من بينهم: جوزيه محمد، وابراهيم سلمى، وفيليبي ابراهيم، وجوزيه أنطوني، ومهند عبدون، وسليم شالومه، وجوزيه عبدون، وأرسينيو محمد، وريموندو محمد. وقد أُرسل 26 شخصًا إلى دار الإصلاح، بينما اعتُقل آخرون في حي كونسيساو دا برايا، وبقيت الشّرطة في حالة تأهُّبٍ خشيةَ اندلاع اشتباكاتٍ جديدة أثناء مراسم دفن الضّحايا في مقبرة كينتا دوس لازاروس. وفي صباح اليوم التّالي حاول نحو أربعة عشر سوريًا يقيمون في شارعي روي باربوزا ودو تيزورو مواجهةَ الكاثوليك، كما تَردّد أنّهم كانوا يَعتزمون تحرير رفاقهم المُحتجزين في مركز شرطة سيه، غير أن الشّرطة ألقَت القبض عليهم وأرسلَتهم إلى دار الإصلاح.

أما صحيفة «دياريو دي نوتيسياس» فقد ركّزت في تقريرها على أنّ جريمة القتل ارتكبها "محمّديون" (أي مُسلمون)، في حين شَدّدت صحيفة «أو إستادو» على العدد الكبير من "المُحمّديين" المقيمين في منطقة سيه، مُتهمةً إياهم بممارسة مختلف الجرائم والرّذائل و"استغلال الناس".

ساحة جوزيه دي ألينكار
بداية القرن العشرين.

من ألبوم «البرازيلي ذو البشرة السوداء في العقود الأولى من القرن العشرين»
مؤسسة المكتبة الوطنية

يُعدّ تقرير «أ نوتيسيا» الأكثر تفصيلاً والأقربَ إلى الحياد في تناول أسباب الحادثة. ويُورد التّقرير معلوماتٍ تختلفُ عمّا ورد في الصّحف الأخرى، إذ يُشير إلى وجود تيّارين بين العرب المقيمين في سلفادور على خلفيّة الحرب الأوروبيّة الدائرة آنذاك. ويروي أنّ المسلمين انضمّوا إلى الصّليب الأحمر الألمانيّ ونظّموا مؤخرًا مهرجانًا في سينما فراتيلي فيتا، بينما كان الكاثوليك يَجمعون التبرّعات لإقامة مهرجان يعود ريعُه إلى الصّليب الأحمر الفرنسي. وأنّه قبل أيام قليلة من الحادثة تَشاجر العربيّ الكاثوليكي أنطونيو كابيزي مع العربي المسلم جوزيف محمد، فأصابَه بجرحٍ في وجهه بواسطة موس حلاقة، الأمر الذي أدّى إلى اعتقال كابيزي بأمرٍ من نائب المفوّض في مركز شرطة سيه.

يَذكرُ التّقرير أيضًا أن المُسلمين، بقيادة مصطفى جبيلي، دبّروا لاحقًا هجومًا على الكاثوليك ونصبوا لهم كمينًا عند المبنى رقم 66 في شارع روي باربوزا. وأثناء عودة إبراهيم فيليكس كريشيتي وصهره إلياس بدر بهدوء من سينما ساو جواو فُوجئا بمجموعة ضَمّت كلًّا مِن مصطفى جبيلي، ومحمد حسان بغدادي، وبدر شياح، وعثمان شياح، ومصطفى تابوك، وأحمد حسان كاسين، وعلي حبيبي، وجوزيه جبيلي، الذين أَطلقوا النار عليهم من الشّارع ومن نوافذ المبنى نفسه. توفّي إبراهيم كرايشيتي على الفور، بينما قام إلياس بدر بطعن علي حبيبي بسكّين في ظهره. ثمّ في الشارع نفسه، في عمق منطقة تيزورو، تعرّض المسلم زمريني عبد القادر للطّعن وإطلاق النار وتُوفي بعد ذلك بوقت قصير. ثم خلال فترة وجيزة تمكّنتِ الشّرطة من إلقاء القبض على معظم أفراد المجموعة المُهاجمة، من بينهم إلياس بدر الذي كان يحمل سكينًا كبيرة ملطّخة بالدّماء، وقد اقتيد اثنا عشر عربيًا إلى دار الإصلاح. كما قامت الشّرطة بمُحاصرة عدد من المنازل في حيّ سيه واعتقَلَت خمسةً وعشرين عربيًا لاستجوابهم. في الوقت نفسه، كانت الشّرطة لا تزال تبحث عن مصطفى إيزابيلي الذي جرى تحديده بوصفه المسؤول الرئيسيّ عن جرائم القتل التي وقعت في اليوم السّابق. وقد عمل السّيد جواو رفّول، وهو رجل أعمال معروف، كمُترجم خلال تحقيقات الشّرطة. وذكرت الصّحيفة أن إبراهيم كرايشيتي كان قد تزوّج قبل عام واحد فقط وترك وراءه بموته طفلاً صغيرًا، وأنّه كان يدير عملاً تجاريًا في ساحة جوزيه دي ألينكار. رغم الاختلافات في روايات الصّحف، وتعدّد طرق كتابة أسماء الأشخاص والأماكن نتيجة اختلاف نقل الأسماء العربيّة إلى البرتغاليّة، فإن تكرار الإشارة إلى هذه الحادثة يُبرز شكل الوجود العربي في سلفادور أثناء تلك الفترة.

يبقى التطوّر الأهمّ في هذا السّياق هو الرّسالة المُوقّعة باسم "السوريين الكاثوليك" التي نُقِلَت إلى الصحافة ووُجّهت إلى "أعلى سلطات الدّولة"، واصفةً المسلمين بأنهم "لصوص ومتوحّشون" ومُطالِبةً بترحيلهم. نُشرت هذه الرّسالة في 10 ديسمبر/كانون الأول في صحيفة «دياريو دي نوتيسياس» وفيما يلي نصّها:

"إن السّوريين الكاثوليك المُقيمين في هذه العاصمة التي لهم فيها مصالح محترمة، يجدون أنفسهم مضطّرين إلى اللّجوء للصّحافة والتوجّه بنداءٍ إلى السّلطات المدنيّة والكَنسيّة العليا في الولاية، حيث استولَى عليهم في هذه الأيام قلقٌ عميقٌ بسبب خطورة الأحداث الأخيرة التي ـ فضلاً عن أنها أَلبسَت بعضَ البيوت أثواب الحداد ـ كشفَت بوضوحٍ عن تهديد خطير للأمن الشخصيّ للجميع، مُلتمسين من السّلطات المسؤولة بادرة حماية ودعمٍ لحقِّهم الأوّليّ في الحياة، وهو الحقّ الذي باتَ مُهدَداً من قبل المسلمين المتوحّشين المُقيمين هنا.

يَعلمُ الجميع أنّه ومنذ سنوات طويلة، بعد أن وصَلَت إلى هذه البلاد جماعاتُ المسلمين، أنّهم يثيرون نزاعاتٍ مُتواصلة تُعكّر صفو النّظام العام من خلال اضطّهاد مستمرّ لأبناء "وطنهم" من المسيحيّين المقيمين هنا.

في هذا البلد الجميل، يَجرؤ هؤلاء اللّصوص، على إعادةِ تمثيلِ مشاهد الهمجيّة التي يمارسونها ضد المسيحيّين في وطنهم الأم، معتقدين ـ ربّما ـ أنّهم سيجدون في هذا البلد نفْسَ الحماية الرسميّة الإجراميّة التي يتمتّعون بها، للأسف، في بلادهم الأصليّة.

لا يُخفى على أحد ما يتعرّض له المسيحيّون في تركيا من اضطهاداتٍ فظيعة؛ إذ تُصادَر مُمتلكاتهم، وتُنهب بيوتهم، ويُقتل أبناؤهم وأقاربهم دون عقاب. ولهذا السّبب اضطررنا نحن السّوريون الكاثوليك المقيمون هنا إلى الهجرة من وطننا الأم، فاخترنا البرازيل وولاية باهيا على وجه الخصوص، ثقةً منّا في اعتدالِ مناخها، وفي عمقِ الشعور الكاثوليكيّ لدى سكّانها، وفي النظام المُتسامح والليبراليّ لقوانينها.

مُثقلون بالحنين إلى الوطن والأقارب، لجأ السّوريون الكاثوليك إلى هذه البلاد، يَحدوهُم الأمل في احترام حقوقهم. ورغم تكرّر وقوع نزاعاتٍ صغيرة بين أبناء الوطن الواحد من طوائف وأديان مُختلفة، فإن تلك الحوادث لم تكن لتتفاقم بفضلِ التدخّل السّريع للسّلطات الوطنيّة.

لكن، في الآونة الأخيرة، وبعد أن أُقحِمت تركيّا في الصّراعِ الأوروبي كنتيجةٍ لسوء حكومتها، فقد تصاعدت من جديد أعمال العنف التي يرتكبها المُحمّديون ضد المسيحيين.

إنّ الأخبار التي تصلُنا عبر الرّسائل الخاصّة عن أعمال الهمجيّة المُرتكبة هناك تفوق الوصفَ لهَولها؛ فالسكّانُ المسيحيّون يقعون ضحايا لأشدّ أعمال التّخريب سوادًا وبشاعةً، وهي أعمالٌ يسمحُ بها النّظام المشؤوم للحكومة التركيّة. وفي هذه اللّحظة بالذّات أرسَلتْ إيطاليا، مدفوعةً بنبيل الشّعور المسيحيّ، قوّاتٍ لضمان حماية السكّان الكاثوليك الذين يتعرّضون للاضطّهاد بسبب التعصّب الدينيّ الذي يمارسه اللّصوص المُحمديّون.

أما أتباعُ هذه الطّائفة المُحمّديّة المقيمون هنا، فقد رَأوا أن يقلّدوا قاداتهم في ما وراء البحار. ففي اجتماعاتٍ متكرّرة عقدوها في هذه العاصمة قرّروا مُهاجمة وقتل أبناء وطنهم المسيحيّين. وعلى الرّغم من التّحذيرات المتكرّرة التي تلقّيناها، فإنّنا لم نصدّق قَطّ أنّ خصومنا في العقيدة سيجرؤون على ارتكاب مثل هذه الجرائم وهم يعلمون أنّها لن تمرّ دون عقاب. لكنّنا للأسف كنّا مخدوعين؛ فقد سعى صديقنا الطيّب ورفيقنا في الوطن إبراهيم كريشيتي، رغبةً منه في وضع حد للخُصومات وإرساءِ الوئام داخل الجالية، إلى محاولة التّفاهم بلباقة مع رؤساء أولئك اللّصوص في أوكارهم نفسها، غير أنّه سقط هناك صريعًا، بعدما قُتل بدمٍ باردٍ بعدّة طلقات من مسدّس وبعدد كبير من طعنات الخنجر.

إنّ جريمةً كهذه تستدعي قمعًا شديدًا، لا لمجرّد مُواساة الأرملة التي لا عزاء لها ولا لإنقاذ الأيتام التّعساء من بؤسهم فحسب، بل أيضًا دفاعًا عن الحضارة البرازيليّة التي أهانها مُجرمون لا يستحقّون سوى الطّرد من أراضي الجمهوريّة. وإلى أن يتحقّق ذلك، فإنّ السّوريين الكاثوليك، في ضوء هذه الحادثة، لن يشعروا أبدًا بالأمان الكافي فيما يتعلّق بسلامتهم الشخصيّة.

لذلك، فإنّهم، وهم مثقلون بالألم والقلق، يُطلِقون عبر الصّحافة نداءً رسميًا إلى السّلطات العليا في الولاية، وإلى حضرة رئيس أساقفة الأبرشيّة المُوقّر، وأخيرًا إلى المشاعر المسيحيّة الصّادقة والمحترمة لدى شعب باهيا الكريم المِضياف، كي يتضافر الجميعُ في حركةِ تضامن مسيحيّ حتّى يتمكّن السّوريون الكاثوليك المقيمون هنا من العيش بسلام في هذه الأرض المباركة والتمتّع بالضّمانات الفرديّة التي يكفلها الدستور والقوانين البرازيليّة للمواطنين كما للأجانب".

انتهى نَصّ الرّسالة.

في مكانٍ آخر، تحت عنوان "هناك كما هنا" أفادتْ صحيفة «أ نوتيسيا» بأن "الأتراك" المُقيمين في ريو دي جانيرو أثاروا اضطراباتٍ ذات طابعٍ دينيّ. غير أنّ المسلمين في ريو دي جانيرو كانوا ـ بحسب الصّحيفة ـ هم أوّل من توجّه إلى الشّرطة ضمن وفدٍ طالبين ضماناتٍ لحمايتهم، حيث اشتكوا من تعرُّضهم لتهديدات من جانب الكاثوليك. على إثر ذلك كثّفت الشّرطة دوريّاتها في الأحياء التي يقيمون فيها منعًا لوقوع أيّ مواجهة بين المجموعتين. وقد صرّح بعض الأشخاص الذين أجرت الصّحيفة معهم مقابلاتٍ بأنّ الخلاف بين أبناء الوطن الواحد تُحرِّكُه الأسبابُ نفسها التي أدّت إلى الصّدامات في باهيا؛ فإلى جانب العامل الدينيّ، كان هناك أيضًا اختلافٌ في التّعاطف مع الدول الأوروبيّة المُتحاربة، إذ كان المسيحيّون يميلون إلى تأييد فرنسا، في حين أبدى المسلمون تعاطفًا مع ألمانيا.

وفي يوم السبت 12 ديسمبر/كانون الأول نشرت صحيفة «دياريو دي نوتيسياس» افتتاحيّةً طالبَت فيها بضرورة احترام سكان باهيا الذين وصفَتهم بأنّهم في غالبيّتهم السّاحقة "كاثوليك"، مُحذّرةً من الخَطر الذي تُمثّله الاعتداءات التي يتعرّض لها العرب المسيحيون من قبل العرب المسلمين، والتي بحسب الصّحيفة قد ترتدّ سلبًا على كلّ البرازيليين.

ونظرًا لأهميّة هذه الافتتاحيّة ووضوح موقفها، ننقلها كاملةً فيما يلي:

اضطرابات بين العرب
احترموا الأرض!

سَجّلت الصحافة مرارًا مشاهد من الشّجارات والاعتداءات، بل وحتّى القتل أحيانًا، بين العرب المُقيمين هنا، لأسباب ودوافع مختلفة: إساءة الأمانة في المُعاملات التجارية، خلافات عائليّة، أيضًا حالات سكرٍ وانفعال. بيد أنّ هذه الوقائع قد تفاقمتْ الآن، واتّخذتْ طابعًا أشدّ خطورة، إذ باتت لها أسبابٌ معروفة وأهدافٌ معلنة.

لم تعُد المسألة مجرّد حوادث متفرّقة تقعُ بين أناسٍ يفتقرون إلى قدرٍ كاف من التّربية الأخلاقيّة والمدنيّة لكبح انفعالاتهم. كلّا. إنّ الأمر اليوم مُختلف؛ فقد نما في الجالية العربيّة التي استقرَّت هُنا ـ والتي يعيش أفرادها إمّا من بيع الفستق أو من التّجوال في الشّوارع لعرض بضائعهم ـ شعورٌ مكبوتٌ بالكراهية بين بعضهم البعض، وتعصّبٌ دينيّ أخذ يفرّق أبناء هذه الجماعة.

وقد جاءت مُشاركة تركيّا في الحرب الدّائرة بين القوى الكبرى في أوروبا ذريعةً لانفجار مشاعر العداء والانتقام التي كانت مكبوتة؛ فانقسم العرب إلى تيّارين متعارضين، أعلن كلٌّ منهما تعاطفه مع إحدى الدّول المُتحاربة. فالكاثوليك يميلون إلى فرنسا ودول الحلفاء، أما المسلمون فيؤيدون ألمانيا.

وكما يَحدث عادةً في مثل هذه الظّروف بين الشّعوب، يصبح كلّ شيء ذريعةً لانفجار الأحقاد. هكذا أسهم هذا التّعاطف مع هذا الطّرف أو ذاك في إشعال أحداث مؤسفة، تشهد على عصرٍ من البربريّة واللّاإنسانيّة، كما تنقلُها البرقيّات: مذابح واعتداءات يرتكبها العرب المسلمون ضدَّ العرب الكاثوليك الذين يعيشون هناك بلا دعم من حكومتهم، كأنهم منبُوذون، يتعرّضون للقتل والسّلب، بلا حقوقٍ ولا ضمانات.

يريدُ بعض العرب المسلمين أن يمارسوا هنا ما يجري هناك في تركيّا ـ ممّا يجعلها موضع استنكارٍ لدى الشّعوب المُتحضّرة المُشبعة بروح الإنسانيّة ـ مُحوّلين شوارع عاصمة باهيا إلى مسرح لتلك المَشاهد التي تحطُّ من قدر شَعب باهيا بالكامل.

إنّ باهيا التي عرفَت كيف تحافظُ على حيادها في هذه الحرب التي جرّت مصالح شتى الدّول الكبرى إلى صراع دمويّ، وباهيا التي تأوي أبناء الدّول المُتحاربة بروح الضّيافة البرازيليّة التقليديّة الصّادقة، وتحترمُ مشاعرهم الوطنيّة، لا يمكنها ولا ينبغي لها أن تسمح بأن تُرتكب تحت سماء أرضها أعمالٌ وحشيّةٌ لا يُسمح بها حتى في ساحات القتال نفسها.

لا بدّ أن يوجد بين أفراد هذه الفئة من الجالية العربيّة المُسلمة عقولٌ راجحة وأرواحٌ مُتبصّرة، تُدرك الأثر الأخلاقيّ لهذه الأفعال المرتكبة ضدّ إخوةٍ لهم، وإن اختلفوا معهم في العقيدة والمشاعر، إلا أنّهم يعيشون هنا تحت حمايتنا وفي ظلّ ضيافتنا نحن البرازيليّون. فعسى أن ينصح هذا الصّوت العاقل أولئك المُتحمّسين أو المندفعين بدافع التعصّب الدينيّ، بأن يغيّروا مَسلكهم احترامًا للأرض التي يعيشون عليها ولمُعتقدات الشّعب الذي يحتضنُهم.

وعليهم أن يفعلوا ذلك. نعم. فإن الإساءات التي تُرتكب هنا ضدّ أفراد الجالية السورية الكاثوليكيّة بسبب معتقداتهم أو تعاطفهم مع هذا البلد أو ذاك، لا تُهينهم وحدهم، بل تُهين أيضًا شعب باهيا الذي لا يستطيع أن يقبلَ بمثل هذه الأفعال الوحشيّة وهو صامتٌ أو غير مبالٍ. ذلك أنّ هذا الحقد قد ينقلب غدًا على الباهيين أنفسهم، وهم شعبٌ يكاد يكون كاثوليكيًا في غالبيّته السّاحقة، وبينهم أيضًا من يتعاطف مع دول الحلفاء، كما يوجد بينهم من يميل إلى ألمانيا.

إنّ احترام المشاعر الفرديّة والتّسامح معها مسألةٌ بالغةُ الأهميّة للنظام الاجتماعيّ وللانسجام بين النّاس. فإذا كان شعب باهيا قد التزم بمبدأ التّسامح الديني والسياسي، وإذا كان دستورنا يَضمنُ حريّة جميع المعتقدات الدينيّة، فكيف يمكن أن يُسمح بأن يَفرِض فريقٌ مضلَّل ـ جاء إلى هذه البلاد طلبًا للعمل وتحسين ظروفه ـ مُعتقداته ومشاعره على فريقٍ آخر من أبناء وطنه لمجرّد أنّه يفكّر على نحوٍ مُختلف، في حين أنّ الأرض التي تأويه لا تمارس التعصّب ولا تفرض معتقداتها أو ميولها السياسيّة على أحد؟

وإذا كان هؤلاء المُخلّون بالنظام العام يَجهلون واجباتهم تجاه المجتمع الذي يَعيشون فيه وتجاه سلطات الدّولة، لا سيما تجاه الشّرطة، ضمن حدود القانون والدّستور، فإنّ من واجب السّلطات أن تُعلّمهم احترامَ القواعد التي يلتزم بها مواطنو هذا البلد.

يجبُ ألا تتكرّر بعد الآن مشاهدُ هذا الصّراع الأخويّ، ولا هذه النّزاعات بين العرب أنفسهم.

احترموا الأرض!

بَرزت مظاهر التوتّر كذلك خلال فترة عيد الميلاد، فبتاريخ 26 ديسمبر/كانون الأول نَشرَت صحيفة «جورنال دي نوتيسياس» خبرًا تحت عنوان "عرب مُضطربون" ذكرت فيه أنّ مجموعةً من العرب المَخمورين شرعَت في الليلة السابقة بإطلاق النار عشوائيًا، مما أثار الذّعر بين الحاضرين الذين كانوا يشاهدون احتفالات عيد الميلاد في حيّ سيتشي بورتاس. وقد ألقى الحَرَس المدني القبض على بعض أفراد المجموعة، بينما لاذَ آخرون بالفرار.

أما آخرُ خبرٍ عثرنا عليه بشأن مقتل إبراهيم كراشيتي فقد نشرَته صحيفة «دياريو دي نوتيسياس» في 29 يناير/كانون الثاني 1915. وأفاد الخبر بأنّ التّهمة بقتل التّاجر السّوري ابراهيم كراشيتي قد وُجِّهت إلى العربيّ علي حُبيبي، في حين جرى إسقاط التّهمة عن العربيّ عبد القادر فيارة الذي كان قد اتُّهم سابقًا بالمشاركة في الجريمة.

ومن مُجمل ما تَقدّم يمكن الاستنتاج بأنّ النّزاعات بين العرب المسلمين، وكان معظمهم من الباعة المُتجولين، والعرب المسيحيّين، وكان كثير منهم من اللبنانيين التجّار أصحاب المحال، لم تكنْ نادرةً مطلع القرن العشرين في مدينة سلفادور. وقد ازدادت حدّةُ هذه الصّراعات مع دخول تركيّا الحرب العالميّة الأولى إلى جانب ألمانيا، في مواجهة فرنسا وإنجلترا.

ورغم أن البرازيل لم تنضمّ إلى دول الحلفاء إلّا في عام 1917، فإن تعاطُفها مع المسيحيين وعداءَها لمسلميّ الإمبراطوريّة العثمانيّة كانا واضحين منذ بداية الحرب. إذ تمتلئُ صحف تلك الحقبة بروايات عن معاناة المسيحيين، وعن تحويل الكنائس الكاثوليكيّة والأرثوذكسيّة والبروتستانتيّة قسرًا إلى مساجد على يد العثمانيّين.

لقد شكّلَ مقتلُ عربيٍّ مسيحيّ وآخرَ مسلم لحظةً حرجةً في سياق هذه الصّراعات في باهيا. لكنّ الأسباب التي جعلَت هذين الشّخصين تحديداً ضحيّتين لتلك الأحداث لا تزال غير واضحة تمامًا. فلماذا توجّه إبراهيم إلى شارع كان يعلَم أنّ مسلمين يقيمون فيه؟ ولماذا تعرّض للهُجوم؟ وماذا عن محمد جندية؟ ولماذا أُلقيت المسؤوليّة كاملةً على علي حبيبي؟

تُشير الإفادات والشّهادات إلى أنّ الهجوم على إبراهيم كراشيتي ربّما كان عرضيًا، وكأنّه وقع عليه بوصفه كبشَ فداء عن المجتمع المسيحي بأسره الذي كان يُنظر إليه بكونِه مُهدَّدًا من قبل المسلمين ("المُحمديّون يهاجمون المَسيحيين دون أسبابٍ تبرّر ذلك"). أمّا المُسلم فقد قيل إنّه قُتل خلال تبادل إطلاق النار والفوضى التي أَعقَبت الحادثة. يظلُّ هذا التّفسير مَوضع شكٍّ، خاصةً بعد أن أظهرت تقارير التّشريح أن وفاة الرَّجُلين كانت نتيجةَ طعنات مُتعدّدة بالسّكاكين، على الرغم من أنّ الأخبار الصحفيّة ركّزت على كثرةِ إطلاق النار. وقد بيَّنت الفحوص أنّ رصاصةً واحدةً فقط أصابَت محمد جندية في ساقِه، بينما أصابت رصاصتان الموظّف لدى مصطفى إيزابيلي، ولم تكُن أيّ من هذه الإصابات الناريّة سببًا مباشرًا للوفاة.

أما مصطفى إيزابيلي، الذي صُوِّر في البداية على أنّه مجرمٌ معروف والمسؤول عن مقتل ابراهيم، والذي سلَّم نفسه لاحقاً للشّرطة واتُّهمَ على حبيبي بارتكاب الجريمة، فلم تبرِّئه الشّهادات فحسب، بل ذكرَت أيضًا أنّه حاول إنقاذ المسيحي. كذلك فإنّ إلياس بدر، الذي اتُّهم في البداية بقتلِ محمد جندية ـ سواء من قِبل المسلمين أو من قِبل أحد ضباط الشرطة ـ قد تمّت تبرئته لاحقًا من التّهمة. بل إنّ الضابط نفسه تراجع عن أقواله السّابقة، ولم يحضُر لاحقًا جلسة الاستدعاء.

يبدو أن التّحقيقات أُنجزَت على عجل؛ إذ لم تستغرِق سوى أسبوع واحد، رغم كثرة الشّهود والصّعوبات الكبيرة في العثور على مُترجمين مُحايدين. وقد خلَصَت أوراقُ التّحقيق إلى أنّ علي حبيبي قتلَ إبراهيم كراشيتي طعنًا بالسكّين، من دون تحديد المسؤول عن مقتل المُسلم محمد جندية، باستثناء تبرئة إلياس بدر، شقيق الأرملة. كما أشارت السجلّات إلى أنّ الأرملة أدما بدر كراشيتي تقدّمت في سبتمبر/أيلول 1917 باستئناف أمام محكمة العدل ـ دون جدوى ـ احتجاجًا على تبرئة علي حبيبي.

أما التّحقيق الذي أجرته الشرطة فقد توصّل إلى نتيجةٍ مختلفة، مفادها أنّ إبراهيم كراشيتي قُتل على يد محمد جنديّة، الذي قُتل بدوره برصاصةٍ أطلقَها إلياس بدر انتقامًا. بيدَ أنّه لم يُذكر في أيّ مرحلة سابقة أن إلياس بدر كان يحمل مسدّسًا، كما أنّ لا شيء في الأخبار الصحفيّة كان يوحي بمثلِ هذه الاستنتاجات.

في التّاسع والعشرين من ديسمبر/كانون الأول 1914 نشرَت صحيفة «جورنال دي نوتيسياس» مقالًا مطوّلًا بعنوان "الحضارة وريثة المسيحيّة"، حذّرت فيه من أنّ سلطان تركيّا أصدر مرسومًا يدعو فيه جميع المسلمين إلى الجهاد، ليس في بلاده فحسب بل في كافّة أنحاء العالم. ورأت الصّحيفة أنّ حادثة مقتل السوري المسيحي في باهيا، وإن بدت في ظاهرها نزاعًا عائليًا، إنما تندرجُ في إطار هذه الحرب. فالسوريون ـ حسب المقال ـ كانوا يَقصدون البرازيل هربًا من "الفظائع" التي يرتكبها المسلمون هناك، غير أن أتباع هذه الطائفة الذين قدموا إلى هنا، بعد أن تلقوا دعوة الجهاد، أخذوا يضطهدون السوريين ويقتلونهم، بدعم من رجال الدين. وجاء في المقال: "أتدرون من هم أعداء أجدادكم؟ إنهم هؤلاء المسلمون!" كما أضافت الصحيفة تحذيرًا آخرًا، إذ زعمت أن تجارة الأقمشة ليست سوى واجهة، وأن النشاط الحقيقي لبعض هؤلاء يتمثل في إفساد وإغواء الفتيات الجميلات، بل والاتجار ببعضهنّ بوصفهنّ "هَدايا" تُرسل إلى سلطانهم.

اليوم قد يبدو مثل هذا الخطاب صادمًا لما يَحمله من تحريضٍ واضح على الكراهية ضدّ جماعة دينيّة بأكملها، لكنّه في الوقت نفسه يكشف لنا مدى تجذّر الخوف والتمييز ضد المسلمين في مجتمع باهيا في مطلع القرن العشرين[1]، ربما يعود ذلك إلى ثورة الماليز، أو إلى حقبة الاستعمار نفسها.

ثورة الماليز (Revolta dos Malês) هي انتفاضة قادها عبيد مسلمون وبعض المحرَّرين في عام 1835 في مدينة سلفادور بولاية باهيا في البرازيل. كان معظم المشاركين من أصول أفريقية، ولا سيما من شعب اليوروبا في غرب أفريقيا، وكان يُطلق عليهم في البرازيل اسم "الماليز"، وهي تسمية مشتقة من كلمة في لغة اليوروبا imale التي تعني"المسلم". هدفت الانتفاضة إلى التمرد على نظام العبودية في الإمبراطورية البرازيلية، لكنها أُخمدت سريعاً على يد السلطات.

الختام:

عند وفاة أبراهام كراشيتي في ديسمبر/ كانون الأول 1914 كانت أرملته، السيّدة أدما بلدر كراشيتي أُمّاً لابن صغير يُدعى إميليو، وكانت حاملًا بطفلة أسمتها لاحقًا هورتنسيا كراشيتي، وُلِدت في يناير/ كانون الثاني من العام التالي. وبعد أن تَرمّلت بأربع سنوات تزوّجت من شاب أصغر منها يُدعى غابرييل مهنا، وهو سوري/لبناني ماروني، أنجَبت منه عددًا كبيرًا من الأبناء. وكان أكبرهم أومبيرتو مهنا، الذي أصبح لاحقًا والدي. كل ما عرفته عن جدّتي أنها توفّيت عام 1954 دون أن تتعلّم البرتغاليّة، وأنها ماتت بسبب انتفاخ الرئة نتيجة الإفراط في التّدخين، وأنها كانت تحبّ زوجها الثاني كثيرًا. كانت عمّتي هورتنسيا تلمّح إلى أن الجَدّ غابرييل لم يكن ذا مال، وأنه كسب عاطفة والدتها طمعًا في زواج يتيح له الاستفادة من الإرث الذي تركه زوجها الأول، ربما فعلت هذا لتفسير الجفاء الذي كان جَدّي يُبديه تجاهها وتجاه أخيها، وهما من زواج جدّتي الأول. كما ظهرت بين السطور شبهةٌ مفادها أن جدّنا ربما كان على نحو ما مُتورطًا في الموت العنيف للسيّد إبراهيم. وقد دفعتني الرّغبة في توضيح هذه القصّة العائليّة إلى البحث في الأمر؛ فبينما انتهيت إلى تبرئة الجدّ غابرييل من هذه الشبهة، اكتشفت في المقابل صفحة دامية من تاريخ الجالية العربيّة في باهيا مع بدايات الحرب العالميّة الأولى.

1.º Anno — Bahia--(Brazil)--Segunda-feira 23 de Novembro de 1914 — N. 57

A NOTICIA

Jornal vespertino, elegante, noticioso e illustrado

Modas, literatura, theatros e notas extrangeiras

REDACÇÃO, GERENCIA E OFFICINAS RUA CARLOS GOMES, 95 — DIRECTOR-GERENTE ARTHUR MATTOS — ENDEREÇO TELEGRAPHICO «NOTICIA» TELEPHONE N. 133

A evolução e a decadencia do commercio avulso

Quem hoje sustenta o mascate

Tac-tac, tac-tac, tac-tac...

Cada dia...

Instantaneos a lapis

Depois de apeado do ministerio, ia sendo vaiado no regresso a S. Paulo

Filhotismo ou engrossamento?

NA FACULDADE DE MEDICINA

O thesoureiro não paga aos professores na ordem em que estes se apresentam e sim conforme suas preferencias!...

Ainda em cima relapsos e grosseirões

Importante entrevista

O sr. José Bezerra põe em pratos limpos as declarações do sr. Wencesláo Braz a respeito de Pernambuco--O sr. Estacio Coimbra armou a effeito, mas não colheu resultados--O sr. Dantas Barretto não fez ministro o sr. Caetano de Faria, como o sr. Pinheiro Machado não fez o sr. Lyra--O sr. Jangote fica sendo "leader" da familia perrecista--O aproveitamento do sr. Rivadavia foi "razão de Estado" (?!...)

A leaderança da camara

O sr. Fonseca Hermes

que, no dizer do sr. José Bezerra, é o "leader"... da familia perrecista.

A evolução e a decadencia do commercio avulso

Quem hoje sustenta o mascate

Tac-tac, tac-tac, tac-tac...

E a musica do metro dobradiço, arfante sob o pêso da caixa que lhe é cadeira, escriptorio e mêsa de refeições, vae o *paria* dos negociantes, ahasverus que mercadeja, sem pouso nem balcão certas ás topadas na calçada e em cada porta gritando: "Me quére. hoje, senhóra"?

Antigamente, era a tradicional *preta da caixinha* a vender bicos e rendas que foram a delicia de nossas avós e a causa, quem sabe? de estarmos no mundo.

A' preta succedeu o italiano, as mais das vezes com a montra ambulante sobre a cabeça de negros carregadores e a venderem, em pontos certos, chitas, brins, cassas *crepon*, rendas e alfinetes, tudo ao annuncio barulhento de um tac-tac nervoso, certo rythmado, em musica muito conhecida de que o *freguez* ahi vinha.

E' á alcunha de *mascáte*, elles

eram avidamente esperados á janella pela anciedade de pobres e ricos, operarios e burocratas, que, alli, na porta compravam o necessario para se apresentarem decentes, e quantas vezes *chics?*, em meio da sociedade.

Depois, o *mascáte* genuino, o turco, o árabe, o syrio, a perambularem pelas ruas, de caixas a tiracollo, nus; na cabeça, outros; nos hombros e em embrulhos sobraçados, invadiu a cidade e os suburbios, sendo constante, em dias certos, cada qual em uma rua.

„Mamãe! é vem o mascate", gritava de cada porta creança ou moçoila, e o extrangeiro sorridente, gentil em sua algaravia de quem se esforça por ser entendido, descançava no *batente* o fardo de bugigangas.

O fisco, açulado pelo commercio fixo, atrapalhou a vontade, com impostos pesadissimos, esses desgraçados pedintes de freguezia, fazendo-os, hoje, escassos e mais prudentes na venda a *fiado*...!

Todo o negocio faziam, a 1$, 2$, 3$, 4$, 5$, 10$ e 20$ mensaes, sem fiança nem conhecimento, comtanto que lhes comprassem, os mascates!

E era encontadora a curiosidade alegre da freguezia a bisbilhotar nos sujos cadernos de nomes, escripturas enviezadas dos turcos, começando da direita para a esquerda, á *canhota* como lhe dizem os freguezes.

---Uli, uli! não quere nada hoje, "cantavam com a *bocca cheia de lingua* os andarilhos commerciantes...

Hoje, os poucos que ainda existem, ahi estão desconfiados e medrosos, mas sempre tendo nos labios um sorriso para os compradores e a mesma cantiléna de vender mais barato do que no *commercio*...

Fazem feira, agora, surprehendendo todos os sabbados, com frascos de *corylopsys* e blusas feitas, a ingenuidade de gosto feminil das operarias de Plataforma, da Conceição, da Luiz Tarquinio e de tantas outras colmeias, raparigas que despejam nos bolsos sujos dos mascates os vintens magros da *féria*.

E a instituição dos *mascate* ainda não desappareceu, porque em seu favor militam milhares e milhares de pobres...

F'

ENTRE ARABES

As diligencias da policia ficaram terminadas

O que se apurou do conflicto

O enterro de um mahometano

Um "habeas-corpus"

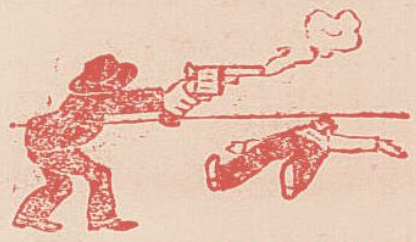

Terminaram na subdelegacia da Sé as diligencias procedidas sobre o conflicto occorrido no domingo passado na rua Ruy Barboza entre arabes mahometanos e catholicos.

O dr. Madureira de Pinho e o solicitador Isaac Jorge Franco, como advogados da viuva do catholico Abrahão Fares Craichate acompanhou as diligencias, requerendo no final certidão das peças dos autos.

Foram ouvidos em auto de perguntas os arabes Mustafa Jubaile, Elias Bachen, e Aly Hubaibi, servindo de interprete, nomeado e juramentado pela autoridade policial o negociante Salim Salomão, que não pertence a nenhuma das seitas dos que tomaram parte no conflicto.

No inquerito depuzeram 7 testemunhas que são: Salvador Ferreira da Silva, João Gergas Raffui, Ahmad Assen Kassim, Abdalla Zein, estes dois ultimos arabes mahometanos e aquelle catholico, e os srs. Euclides Moura dos Santos, Pedro Ferreira Daltro e o capitão do exercito Francisco José Patricio, deputado estadual.

Está apurado que foram autores do conflicto Aly Hubaibi, Mamede Hassen Begdadi, Abd Daruch Tiara, Kemel Darjub e Ahmad Abu-El-Nazer.

Quanto á morte do mahometano Mamedio Jendie as testemunhas se referem a um arabe gordo, alto, com um ferimento na cabeça, que não é outro senão Elias Bader, sendo encontrada a faca que dizem ter elle atirado á rua.

Essa arma está no Instituto Nina Rodrigues, para exame, que será enviado ao promotor publico, independente das diligencias que o subdelegado remetterá na segunda-feira proxima.

O mahometano Mamedio Jendie foi sepultado hontem á tarde, pelos seus patricios, sendo o enterro pouco concorrido.

O corpo sahiu do Nina Rodrigues, ás 16 horas, acompanhado por uma força de cavallaria e outra de infanteria.

Essa medida foi tomada por constar que pretendiam promover disturbios por essa occasião.

O sr. major Cosme de Farias, advogado do mahometano Aly Hubaibi, requereu ao juiz da 1ª circumscripção criminal uma ordem de *habeas-corpus*, em favor do seu constituinte.

O juiz concedeu a ordem para informações da autoridade policial, que hontem mesmo as enviou áquelle magistrado.

Os autos do processo são volumosos e alem dos depoimentos já alludidos, delles constam 3 autos de corpo de delicto e 2 autos de necropsias, de 18 folhas de papel, cada um.

Foram peritos os drs. Octaviano Pimenta, Alvaro Pontes Bahia e Alvaro Borges dos Reis.

Limoni

Habda

Assad

Cobrança original

Um arabe foi cobrar dinheiro e não achando esbofeteou a fregueza

Na rua Silva Jardim ante-hontem o arabe Mamede Nasse foi effectuar a cobrança de Maria Pastôra.

Como esta não tivesse dinheiro, o mascate ficou damnado e esbofeteou-a.

O subdelegado da rua do Paço a quem foi apresentado o espancador pelo civil n. 39, lavrou auto de flagrante delicto.

Um arabe "calceteiro"

Trabalhador mais "caipora"

Salomão Ismai, é um arabe, mas um d'aquelles que precisa-se n'esta terra, rompendo a linha dos seus patricios que só procuram trabalhos leves, não fallando nos vendedores de *mandobi* torrado e dos tiros ao alvo, verdadeiros *tiros de algibeiras*, entregou-se ao afanoso trabalho de calceteiro. Porem pela falta de pratica, aconteceu que o instrumento com que trabalhava lhe batesse no pé, produzindo esmagamento no grosso artelho esquerdo com arrancamento da unha. No Hospital, recebeu curativos.

Um rôlo em Plataforma

Questões antigas determinaram o facto de ante-hontem

Em Plataforma, no domingo, ás 10 horas, houve um conflicto entre o arabe José Paulo, a mulher deste e Carlos Leite, sahindo todos feridos, inclusive dois policiaes.

A auctoridade local tomou conhecimento do facto que tem como movel questões antigas.

أديب الشيشكلي: ظلّ الديكتاتور من دمشق إلى البرازيل

غوستافو الراسي
الترجمة إلى العربية: طلال بوخضر

المفارقة التاريخيّة، الشيشكلي والسويداء: بين جيلين.

تَعودُ أخبار حَملة «السّويداء مِنّا وفينا» للظّهور في المَشهد الإخباريّ من آنٍ لآخر، لكنّها سرعان ما تذوي وكأنّها بقايا زمنٍ غابر رغم حداثة عهدها؛ هذا الغياب السّريع ربّما يؤكّد إخفاقها في بناء جسورٍ فوق الهوّة التي ادَّعت الرّواية الرَّسميّة استهدافها. أيضًا يُشير ذلك إلى قِصر نَفَس الأخبار السوريّة وتكرار قوالبها اللفظيّة، لكنّ، لحظة إطلاق الحملة وَقَعَت مفارقةٌ تاريخيّة تستحقّ التوقّف عندها: تبرَّع أديب الشيشكلي، حفيد الرّئيس الأسبق، بعشرة آلاف دولار، في إشارةٍ رمزيّة مَفادُها أنَّ جدَّه الرّاحل كان سَيتبنّى الموقف نفسه لو عاصَر هذه اللّحظة.

من الجليّ أنَّ ادعاءً كهذا لن يمرَّ دون إثارةِ جدلٍ ما، فاسمُ الشيشكلي يرتبط بالسويداء بوشائجَ وتواريخ لا تَشمل، يقينًا، تبرّعاتٍ من هذا الطّراز، فإلى عهدٍ قريب، ظلَّ الرجلُ موضوعًا لاهتمام تاريخيّ بحت بصورةٍ تتناقض تمامًا مع ما حاول الحفيد تسويقَه خلال الحَملة. مع ذلك، فإنَّ أيّ مراقبٍ للمشهد السوريّ الحاليّ يُدرك أنَّ جزءًا من المناوشات الجارية حاليًّا لا تستمدّ زَخمها من الماضي ودروس التّاريخ فحسب ـ كما في حالة الشيشكلي أو أبو عبدو الجحش وغيرهما ـ بل تسعى، في اللّحظة ذاتها، إلى إعادة كتابة ذلك الماضي وتطويعِ معالمه.

في الواقع، يبدو تاريخ الشيشكلي، بخصوصيَّته تلك، جديرًا بوقفةٍ فاحِصة: سواء لما يحمله من تفاصيل استثنائيّة قادتهُ إلى سدّة الحكم في حقبةٍ منسيّة من تاريخ سوريا، أو لتلك التي حَدّدت موقعهُ ضمن الخريطة الأوسع لسياسات الشّتات وبَلَغت ذروتها باغتياله في البرازيل. بيد أنَّ رحيله لم يضع حَدًّا لقصّته في المخيال الشّعبي، الذي رغم أنه بدا متجاوزًا لها في وقت ما، يجد نفسه اليوم أمامها من جديد بطريقتين: الأولى، ملموسة وحِسيّة، حيث يعود الشيشكلي إلى الحياة وتستعيد السويداء حضورها في النّقاش العام، والثانية، وربّما هي الأشدُّ تأثيرًا وإن كانت الأقلَّ وضوحًا، تتمثّل في عودة المُهاجر أو المنفيّ ليقول كلمته مرة أخرى في لحظةٍ تبدو مألوفة أو ربّما نستطيع القول أنّها مُفعمة بظلال الماضي، تظهر فيها سوريا ككيانٍ مُنهك، تُطوّقه قوى إقليميّة ودوليّة شتى، وتبحث عن شخصيّة: القائد.

أديب الشيشكلي: "المذاق الأول" للحكم العسكري.

أديب بن حسن الشيشكلي (حماة، سوريا 1909 – سيريس، البرازيل 1964)؛ اعتلى سدة الرئاسة السورية في محطّتين: أولاهما وجيزة عام 1951، والثانية بين عامي 1953 و1954، قبل أن يستقيل تحت وطأة اضطرابات اجتماعيّة عاصِفة.

برز الشيشكلي كشخصيّة مِحوريّة في المُنعطفات الحَرِجة للبلاد؛ فقد تَخرّجَ عسكريًا خلال فترة الانتداب الفرنسي، ثم بعد استقلال سوريا، غدا من الأعضاء الأوائل المُنخرطين في الحزب السوري القومي الاجتماعي بزعامة أنطون سعادة. في عام 1948، خاضَ سعادة غمار الحرب ضمن صفوف جيش الإنقاذ العربي ضدّ المليشيات الصهيونيّة إبّان نكبة فلسطين وتأسيس كيانها. لينتهي به المطاف عام 1964 قتيلاً في بلدة سيريس البرازيليّة النائية، برصاصِ أحد أبناء بلده من الدروز.

أيُّ وشائجٍ تلك التي تُنسَج في رحم هذا المسار؟ وكيف يتبدّى الشتات كجزءٍ عضويّ من جسد المشرق، حتى حين يُهمَل إلى زاوية التفاصيل الهامشيّة، كالمصير التراجيديّ لديكتاتور جمهوريةٍ منسيةٍ في الوعي العالمي، وإن كانت مطمعًا للقوى الكبرى، وما الذي يشي به كل هذا عنّا نحن العرب، وعرب الشتات الممتد، في سياق لحظتنا الرّاهنة؟

سوريا ما بعد الاستقلال: عصر الانقلابات.

الهزيمة العربيّة أمام الصهاينة كانت زلزالًا أطاح بأركانِ النّظام البرلمانيّ السّوريّ الهَشّ بالأساس، ممّا أدّى إلى الإطاحةِ بالرّئيس شكري القوتلي عبر انقلابٍ قادَهُ حسني الزّعيم، الذي أُطيح به تقريبًا فورًا، تاركًا البلاد تحت مجلس عسكري يقوده لا أحد سوى أديب الشيشكلي والعقيد سامي الحنّاوي، الرفيق السابق للزعيم.

يرى المؤرّخ جون ماكهوجو أنَّ ثمّة زوايا مُعتمِة في تاريخ انقلاب 1949 لم تُسبر أغوارها كفاية، أبرزها الدّور المحوريّ للسفارة الأمريكيّة في دمشق ووكالة الاستخبارات المركزيّة (CIA)، فقد ضاق هؤلاء ذرعًا بحكومة القوتلي التي رفضَت المُهادنة مع الصّهاينة وعرقلَت مدّ خطوط النّفط السعوديّ عبر الأراضي السوريّة. كانت الاستراتيجيّة الأمريكيّة آنذاك تقتضي الدّفع بضابطٍ "جَسور" لا يتردّد في اتّخاذ قراراتٍ صادِمة وغير شعبيّة، وعلى رأسها إبرامُ صلحٍ مع الكيان الصهيونيّ، وهو الدّور الذي فُصِّل على مقاس حسني الزّعيم.

لقد صاغ الزّعيم مع الأميركيّين خطّةً محكمة من أربع مراحل لإحكام قبضته على السّلطة وإعادة تموضع سوريا في الفلك الأمريكي:

المرحلة الأولى: تنصيب شخصيّة واجِهة في سدّة الحكم، مع احتفاظ الزعيم بالخيوط الفعليّة بصفته وزيرًا للدفاع.
المرحلة الثانية: ضَخُّ مساعدات أميركيّة لسوريا لتعزيز شرعيّة الانقلاب وتثبيت أركانه.
المرحلة الثالثة: تزويد الجيش السوري بالعتاد والمواد الحَربيّة.

المرحلة الرّابعة: إطلاق عَمليّة إصلاح شامِلة وتوسيع القوّات المُسلّحة، محاكاةً لنموذج "تركيا الأتاتوركيّة".

كشفَت تقارير مايلز كوبلاند، ضابط وكالة الاستخبارات المركزيّة في دمشق، أنّ حسني الزعيم كان يُرى على أنّه عديم الشخصيّة مسكونٌ بهوس السُّلطة ولو أصبح دكتاتورًا على غرار حكّام جمهوريّات الموز. لم يَتورَّع الزعيم عن منحِ رتبة "المُشير" لنفسه، منفقًا نحو

3000 دولار ـ وهو مبلغٌ باهظٌ آنذاك ـ على زِيٍّ رسميّ وأدوات استعراضٍ تجميليّة، فارضًا سياساتٍ صِداميّة وغير شعبيّة، من إبداء الرّغبة في مهادنة الكيان الصهيونّي إلى تصفية الوجود الشيوعيّ داخل الجيش.

لكنّ عصر الزّعيم لم يطل؛ فبعد أقلّ من أربعة أشهر على الانقلاب، وفي صباحٍ مباغت، سُحِب من منزله بملابس النوم (البيجاما). لم ينتهِ المشهد عند ضربِهِ فحسب، بل أُعدِم على يدِ ضبّاط لبنانيين شاركوه انقلابه بالأمس، وانقلبوا عليه اليوم ثأرًا لدم أنطون سعادة، الذي غدر به الزّعيم وسلّمه بيدهِ للسلطات اللبنانيّة.

خَلَفَه سامي الحناوي على رأس المَجلس العسكري، ساعيًا لتنظيم انتخابات جمعيّة تأسيسيّة، لكن، وفي 19 ديسمبر، أطاح به ضابطٌ آخر هو أديب الشيشكلي. استهلّ الشيشكلي حكمه ـ الذي سيمتدّ لأربعة أعوام حتى فبراير 1954 ـ بإسقاط حكومة معروف الدواليبي المؤقّتة، التي لم يصمد عمرها أكثر من اثنتي عشرة ساعة.

مجددًا وفقًا لجون ماكهوجو، في معظم الوقت حافظ الشيشكلي على ظهورٍ مُتكتّم، حاكمًا في البداية بشكلٍ غير مباشر عبر رئيسٍ مُعيّن، واثقًا من أنّه لا يمكن أن يتمّ تحدّيه من قبل السياسيين. لكن، الشيشكلي كان هو من أعطى للسوريين المذاق الأوّل لحكومةٍ عسكريّة؛ إذ تمكّن بفضل الشعبيّة التي تمتّع بها بدايةً من توسيع قوام الجيش ليصل إلى 43 ألف رجل، مستهدفًا ليس فقط الدّفاع الخارجي بل منع التمرُّدات الداخليّة، مؤسسًا السّلطة الشرطيّة الأَمنيّة للجيش السوري في محاولةٍ لتوحيد البلاد، قامعًا أي نزعةٍ مناطقيّة أو طائفيّة، ثم مدّ السّيطرة على المدارس الأجنبيّة وثبّط الجمعيّات القائمة على العِرْق أو الطّائفة كما حَظَرَ شراء الأراضي من قبل الأجانب ورفض مساعدات الولايات المُتّحدة.

غلاف مجلة الجيش السوري يوم الانقلاب: ألف ليلة وليلة، في دمشق زعيم!

بِخلاف الحنّاوي، كان الشيشكلي يرفضُ فكرة اتّحاد سوريا مع العراق، وهي فكرة عروبيّة كانت رائجة آنذاك، يُدافع عنها في سوريا حزب الشعب المَدعوم من الطّبقة التجاريّة الغنيّة في حلب. الشيشكلي قام بالانقلاب جزئيًا لمنع حدوث ذلك. لكن الفكرة كانت أيضًا مَرفوضة من قبل شخصيّات هامّة أخرى: وزير التّربية السّابق ميشيل عفلق ووزير الزّراعة السّابق أكرم الحوراني. عفلق والحوراني أصبحا المُنظِّرين والمؤسّسين لحزب البعث العربي الاشتراكي الجديد، جاذبين مُثقّفين وطلابًا من أصول ريفيّة إلى صفوفهم، بالإضافة إلى القاعدة الريفيّة الموطّدة من قبل الحوراني في حماة، مسقط رأسه هو والشيشكلي.

بأيّ حال، في عام 1952 حوّل الشيشكلي سوريا إلى دولةِ حزبٍ واحد. لكن وبدعمٍ سريٍّ من قبل العراق، اندلعَت إضرابات واحتجاجات ضدّ حكمه، بدأَت في حلب وانتشرَت بسرعة عبر حمص وحماة ودمشق. عندما وصلت الحركة إلى السويداء، في حوران، خشي الشيشكلي من انتفاضةٍ درزيّة مثل تلك التي كانت قبل ثلاثين عامًا، في 1925. أرسل حينها قوّاتٍ مدفعيّة قصفت المدينة مرتكبةً مجزرةً فيها. سرعان ما بدأتْ ثورة عسكرية في حلب اجتاحَت البلاد وأطلقَت عمليّةً كادت أن تُسقط الشيشكلي، الذي استقال أخيرًا في 1954، هاربًا إلى بيروت ثم بعد ذلك إلى البرازيل.

بعد سقوطهِ، استُعيدت السّلطة البرلمانيّة في سوريا وأصبحَ حزب البعث قوّةً يُحسَب حسابها خلال الفترة الديمقراطيّة للبلاد والتي استمرت حتى اتّحاد سوريا مع مصر عام 1958.
تفاصيل ما حدثَ بعد ذلك، ليس موضوع هذا التأمُّل القصير.

رهانات واشنطن: من انقلابيّ إلى لاجئ.

في مذكّرةٍ من نائب وزير الخارجية لشؤون الشّرق الأدنى وجنوب آسيا وأفريقيا، جورج ألن، إلى وزير خارجيّة الولايات المتّحدة، جون فوستر دالاس، مُؤرَّخة في 27 يونيو 1957، تُناقَشُ إمكانيّةُ عودة الشيشكلي إلى سوريا في انقلابٍ جديد. وكان الشيشكلي قد فرّ من سوريا إلى لبنان، ومن هناك إلى المملكة العربيّة السعوديّة، مارًّا أيضًا بفرنسا وإسبانيا وإيطاليا ومصر وتركيا، قبل أن يعود مُتخفّيًا إلى المشرق خلال الانتخابات الرئاسيّة في أغسطس 1955.
تتساءل المذكّرة عمّا إذا كانت عودته إلى السعوديّة في عام 1956 تشير إلى احتمال صعوده إلى قيادة القوّات المسلّحة في البلاد أو إلى قوّة موحّدة محتملة بين مصر وسوريا والسعودية. ففي النهاية، كان الشيشكلي قد سافر بجواز سفر سعودي وتلقّى إعانات من الملك سعود.

كما تُوضّح الوثيقة أن الشيشكلي كان معارضًا شرسًا للشيوعيّة وللكيان الصهيونيّ، وكان يَعتقد أن نفقات التّنمية الوَطنيّة تُذوّب في مصروفات الدّفاع على هاتين الجبهتين. غير أنّ سقوطه أمام جهاز الدّولة وأمام السّكان السوريين جَعَلَه مُرشّحًا ضعيفًا لانقلابٍ ناجح في نظر الولايات المتّحدة، التي كانت، فضلًا عن ذلك، تُندّد في المُذكّرة بإدمانه المزمن على الكحول، معتبرةً إيّاه بوضوح نوعًا من القادة غير المرغوب بهم لسوريا. مع ذلك، كان المُقترح هو مراقبة التّطوّرات في البلاد والإبقاء على الشيشكلي ضمن دائرة الاهتمام والمُراقبة، لأنّه، في ظلّ الظّروف المناسبة، وبخاصّة استعداده للتّماهي مع المصالح الأمريكيّة، قد يعود الدّيكتاتور السّابق ليكون خيارًا جيدًا مرّة أخرى. المُذكّرة تختم مُؤكّدة أن تقريرًا شفهيًا كان سيُقدم أيضاً لوزير الخارجية.

إلى جانب قيمتها التاريخيّة، تُنبّهنا الوثيقة إلى فترة غالبًا ما تُنسى من التّاريخ السوري، خصوصًا من وجهة نظر تحليلات من يُسمَّون بالأمميّين ولا سيّما في البرازيل.

منذ فرار بشار الأسد في ديسمبر 2024، دارَت التحليلات حول المشهد السوري خلال الخمسين سنة الماضية، وبشكلٍ أعمق حول التوقُّعات للنّظام الحالي الذي يقوده أبو محمد الجولاني، وهو قائد هيئة تحرير الشام الذي كان عضوًا في تنظيم الدولة الإسلاميّة ومتزعّم فرعها في سوريا، والذي يشغلُ الآن منصب الرّئيس المؤقّت تحت اسمه الحالي: أحمد الشّرع، مع صورة مُلمّعة ببدلات غربيّة. ومع ذلك، يبدو أن المذكّرة الأمريكيّة تُقدّم لنا درسًا عن الوضع السياسي في الشرق الأوسط. يمكن قول الكثير عن ذلك، بدءًا من ملاحظة كيف تُبنى المناورات والمكايد السياسيّة على خلفيّة القوى العظمى، التي تبقى دائمًا يقِظةً ومستعدّةً للتّلاعب بالخطاب الشعبيّ العام وبأجهزة الاستخبارات التي ترسمُ خطوات الأشخاص ذوي الأهميّة. وكما كان يمكن للشيشكلي أن يعود ليكون "خيارًا جيدًا"، تحوّل الجولاني إلى بديل قابل للحياة بالقدر نفسه لقيادة البلاد، ولا شك في أن تركيا والكيان الصهيوني والمملكة العربية السعودية والولايات المتحدة كان لها دور نشِط في هذا التحوّل، إذ قَسّمت سوريا إلى مناطق نفوذ بعد سقوط الأسد، وبالتالي تراجع التدخّل الروسيّ والإيراني.

مهما يكن، فإنّ هذه الملاحظة تبقى ضمن قوس اعتراضيّ. نحن نتناول الشيشكلي، لا الجولاني. ووفقًا لفيلم وثائقي لقناة الجزيرة عام 2022، لا يُعرف على وجه اليقين سبب سقوط الشيشكلي. ويُقال إنّ ذلك ربما كان لاحتواء التمرّدات التي بدأت في جبل الدروز، أو إن المُناورة كانت نوعًا من انقلاب ذاتيّ يهدف إلى تسهيل عودته، وهو احتمال يبدو أن المُذكّرة الأمريكية تُردّد صداه. يشير الوثائقي أيضًا إلى أن الشيشكلي ربما استقال لتجنّب المزيد من سفك الدماء، كما يُقال إن حيدر الكزبري، وهو ضابط كان قد صرّح بإمكانية إنهاء التمرّد الدرزي، قال إن صورة رجل كاره للمجازر، وصدقيّتها، تبدوان ثانويّتين.

أما فيما يتعلّق بمُذكّرات وزارة الخارجية الأميركيّة، فيبدو أنها آخر الوثائق ذات الأهميّة بشأن الشيشكلي. فهو يختفي عن الأنظار دون أن نكون قد وَجدنا وثائق مُشابهة لاحقًا. ربما مُعتمداً على معارف، وربما خائفًا على حياته، وَصَل الشّيشكلي إلى البرازيل في بداية ستينيّات القرن العشرين، ومات عام 1964 (عامُ الانقلاب الذي أقام الدكتاتوريّة المدنيّة-العسكريّة في البرازيل) على يد نواف غزالة وهو بائع متجول درزي من السويداء قُتل والداه في الهجوم الذي شنّته قوّات الشيشكلي.

في شهادة لقناة الجزيرة، صرّح ابن الشيشكلي أن والده ربما قُتل في مؤامرة بعثيّة. وعلى الرغم من أنّهم في مرحلة ما كانوا قد دعموا الشيشكلي بسبب قوميّته، فإن معاداته للشيوعيّة ربما كانت عنصرًا أساسيًا في الانتقام. يتّفق حفيد الشيشكلي مع هذا الطّرح: أنّ جَدّه فَرَّ لتجنّب المزيد من إراقة الدّماء، وأنَّ النّظام الذي خلَفه كان قد مسح إنجازاته. وكانت المهمة الحاليّة، كما قال حتّى قبل سقوط الأسد في عام 2024، هي إعادة سرد التّاريخ ضمن سياق إعادة بناء البلاد.

بكلّ حال، هناك حقيقة بسيطة: الرئيس السّابق لسوريا، الشيشكلي، الضّابط الذي عاش وشارك في لحظة حاسمة من سوريا المعاصرة، قُتل بالرّصاص في بلدة سيريس الصّغيرة، داخل ولاية غوياس، في 27 سبتمبر 1964.

النهاية في "سيريس": خمس رصاصات وثأر عابر للقارّات.

وفقًا لتعداد 2021 فإن بلدة سيريس كان يقطن بها 22,407 نسمة من أصل بلدٍ فيه 220 مليونًا، البلدة كانت قد أصبحت بلديّة فقط قبل أحد عشر عامًا من موتَ الشيشكلي. يُقال إن الشيشكلي كان يعيش هناك كتاجر يَعتاش من بيع مُنتجات مَزرعته الصّغيرة، ثمّ مرّةً عند عُبوره جسرًا إلى مدينة ريالما المُجاورة وجدَ نواف غزالة ينتظره ليطلق عليه خمس رصاصات. غزالة كان قد وصل إلى المدينة قبل ثلاثة أيّام وانتظر ساعاتٍ من أجل لقاء الرّئيس السّابق، واصلاً إلى حدّ التّفاعل معه قبل قتْله، وفقاً لشهود.

بمُحاكمته من قبل هيئة محلّفين شعبيّة والدّفاع عنه من قبل روميو بيريس دي كامبوس باروس ونيلسون هونغريا (وزير مستقبلي في المحكمة الاتحادية العليا STF)، تمّت تبرئة غزالة. اليوم، ملفّ القضيّة معروض في "مركز الثقافة والذاكرة" التّابع لمحكمة العدل في غويّاس (TJ-GO).

ماذا تقول هذه الجريمة عن واقعنا؟

في خِضمّ الديكتاتوريّة المُنصَّبة خلال انقلاب 31 مارس 1964، تابَعَت الجالية السورية باهتمام الأحداث في بلدها المصبوغ أيضًا بالانقلابات والديكتاتوريّات. يمكن القول إنّ شبكات العلاقات الاجتماعيّة في بلد "قارّي" والتي ربّما أدَّت إلى معرفة مكان وجود الشيشكلي، تكشف عن القرب، الذي يُختزل كثيرًا إلى مجرد شخصيّات، بين المهجر وسوريا ولبنان، هذا القرب يعبّر عن نفسه في التفاصيل الأكثر تفاهةً وعاديّة.

يُعتقد أن مقابلة للشيشكلي في مجلة "أو كروزيرو" في عام 1962، هي ما لفت انتباه غزالة، الذي عاد في يوم الجريمة إلى النُّزل حيث كان يقيم، استحمَّ وشاهد فيلمًا في السينما المحليّة. ثم في اليوم التّالي هرب من سيريس ذاهبًا إلى أنابوليس ومجبِرًا ثلاثة أصدقاء، تحت تهديد المسدّس، على أخذه إلى بيلو هوريزونتي، من هناك تابع إلى تيوفيلو أوتوني، حيث جمع أقارب له 100 مليون كروزيرو للدّفاع عنه، مُحتفلين بفعله.

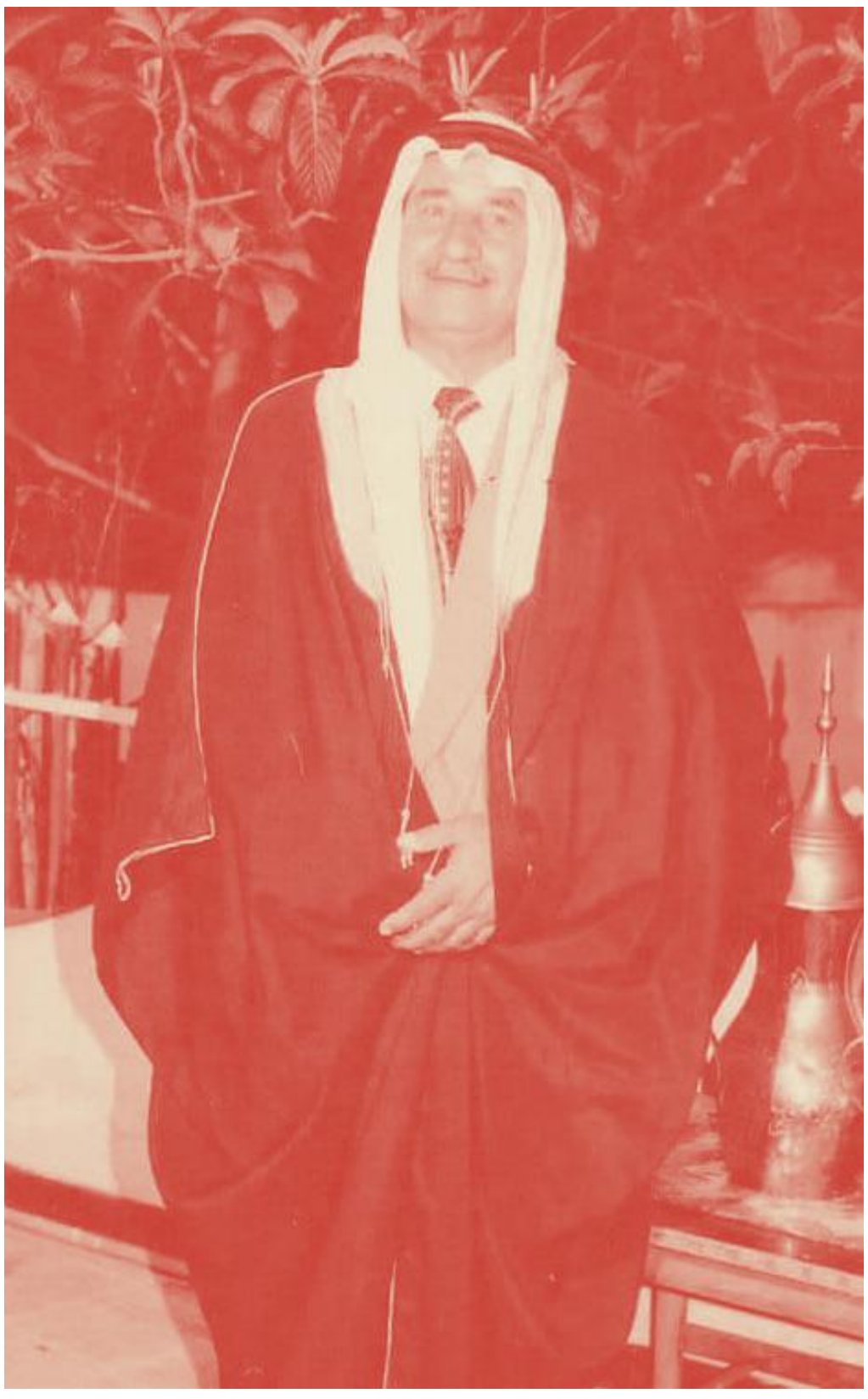

نواف الغزالة ـ بلدية سيريس

دون إظهار أيّة علامات ندم، سلّم غزالة نفسه للشرطة بعد أسبوع. في التّحقيق، أربعة أعضاء مجهولين من الجالية الدرزيّة، اثنان في بيلو هوريزونتي واثنان في برازيليا، أكّدوا أنّ الاغتيال كان قد خُطّط له من قبل الجالية الدرزيّة في ولاية ميناس جيرايس.

في ذلك الوقت، حين تمّ الإبلاغ عن الاغتيال، سيريس التي تبعد 179 كم عن غويانيا، دخلَت التاريخ على اعتبارها المكان الذي لقي حتفه فيه رئيسٌ "أجنبيٌ" سابق. القليل يُحكى عن هذه الحادثة، وأقلّ من ذلك حول كيفيّة تقاطع مسارات البلدين في عدّة نقاط مُهمّة.

البحث الأكاديمي في البرازيل
استكشف قليلًا فقط تلك الأحداث
السياسيّة التي ميّزت المهجر، لكن ومن
خلال "غير البرازيلي" جوزيف لايدي
(2023) "Joseph Leidy "، من
جامعة براون، نجد رواية مهمّة عن
السوريّة في المهجر بين عامي ين عامي
1934 و1944، عندما حاول أنطون
سعادة تأسيس الحزب السوري القومي
الاجتماعي بين السوريين واللبنانيين في
الأميركيتين.

أطلق سعادة وجمعيّته الثقافيّة السوريّة
سَرديّة جذّابة للشَباب المُهاجرين عند
وصوله إلى بوينس آيرس عام 1939،
مُؤكّدين رسالة الحزب من جديد.
وفي محاولةٍ لاستنهاض الحسّ القوميّ،
عُرضت مسرحيّة عن أميرٍ ينقذ بلاده،
واجهتها الجمعيّةُ الوطنيّة اللبنانيّة
المنافسة بأن اتّهمَت مجموعةَ سعادة
بالتّخريب.
وفقًا للايدي (ص. 80)، دعمَت
الصّحافة المحليّة المجموعة اللبنانيّة،
ولا سيّما مجلّة لا باندیرا آرابي، تُظهر
هذه الجدليّة كيفَ جرى نقل
مشكلات بلاد الشام إلى البرازيل
وعُيشت هناك بالشِدّة نفسها التي
عُيشت بها في الوطن، إذ إنّ التّعبئات
السياسيّة للشباب المهاجرين في فترة
ما بين الحربين شَرعَنت فاعلين
سياسيين جددًا ليس في البرازيل فقط،
بل في بلاد الشام نفسها.

كان سعادة قد عاش بالفعل في ساو باولو في
عشرينيّات القرن العشرين، حيث عمل مع
والده، وهو مُحرّر أدبيّ، إلى أن أسّس حزبَه
في بيروت عام 1932، معتمدًا على طلاب
الجامعات، ثم استقرّ في الأرجنتين بعد أن
اعتُقل في لبنان وفي البرازيل تحت الاشتباه
بالتّعاطف مع دول المحور. ووفقًا للايدي
مرّة أخرى فإن نشاطه كان يثير قلق
المجتمعات الشتاتيّة، مؤكّدًا دور الشعبويّة
النّاشئة بين الشّباب العابرين للحدود
الوطنيّة. ولم يكن نجاحه أمرًا غير ذي شأن:
فبين البرازيل والأرجنتين أنشأ هياكل حزبيّة
وأطلق المنشورات، بما في ذلك مديريّة
نسائيّة في بوينس آيرس ونوى تنظيميّة في
ولاية ميناس جيرايس، فضلًا عن زيارته مدنًا
مثل توكومان وكوردوبا في الأرجنتين والتقى
من تعاون معه حتّى من فيلا دو ريو نوفو في
ولاية إسبيريتو سانتو البرازيليّة، ومع زوجته
المستقبليّة، جوليت المير، كان سعادة يندّد
بماديّة المهجر وتشرذُمه إلى نوادٍ وجمعيات.

لم تكن جميع ردود الفعل إيجابيّة. فقد
انتقدت منشورات من شمال الأميركيتين
إلى جنوبهما حزبه ذي الطّابع الفاشي المبكّر،
حتى بين القوميّين، كما حدث في الأرجنتين
عام 1944. وفي البرازيل، تحمّس الشاعر
إلياس فرحات في البداية لسعادة، فأهداه
قصيدة «شباب سوريا». لكن، كما يلاحظ
لايدي، عندما تبرّأ فرحات من سعادة في
مقال عام 1938 في مجلة الشّرق، ادّعى أنه
كان يجهل الطبيعة الحقيقية للحزب. ومع
ذلك، فإن مجلة سعادة «الزّوبعة» أعادَت
نشر القصيدة عام 1941.

في البلاد، كان ناقده الرّئيسي رشيد سليم الخوري، الذي هوجمت محاضرته لعام 1940 التي تكرّم النبي محمد من قبل سعادة في دوريّاته لتمجيدها الإسلام كهجين مثاليّ بين القانون اليهودي والروحانيّة المسيحيّة. سعادة هاجم أيضاً كُتّابًا آخرين من المهجر، مثل إيليّا أبو ماضي وعبد المسيح حداد، من نيويورك، رافضاً فكرة أنّ الرّوابط الثقافيّة واللغويّة العربية تكفي كأساس للقوميّة السوريّة أمام "الوحدة الجغرافيّة والسوسيولوجيّة لسوريا" (ص. 92).

مسار سعادة، بحسب لايدي، كان يبشّر بالحركة التي ستُطيح بسياسة الأعيان التي دَرَسَها ألبرت حوراني، وهو نفسه من أبناء الشّتات، فوالداه، من مرجعيون، هما فضلو حوراني، تاجر في مانشستر، وسُمَيّة الراسي، التي توزّع إخوتها بين البرازيل والولايات المتحدة. هذا يُثبِت الرّوابط بين الأحداث في المهجر والتطوّرات في الوطن. بالنسبة إلى حوراني وفيليب خوري، فإنّ هذه الأحداث عزّزت الأيديولوجيات الحديثة التي ساهمت في نهاية السياسة التقليديّة القائمة على الأعيان.
أيضًا فإن حالة سعادة الأكثر دراسة هي حالة مجازيّة للتّفكير في الشيشكلي ونهايته في البرازيل. فإذا كان الإرث العربي اليوم، خاصّةً في ساو باولو، يُختزل في النّشاط السّياسي وفي تراثٍ ثقافيٍّ مطبخيٍّ فقير، يُركّز غالبًا على المسارات الشخصيّة، فإنّ تحت ذلك شبكة من الرّوابط التي، وقد صيغت في المهجر، تتردّد أصداؤها في بلاد الشّام كما أنها أصداءٌ لأحداثٍ وقعت هناك.

يقع على عاتق المؤرخين وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا كشف الديناميّات التي رسّخت روابط الاجتماع العربي في البرازيل، على ضوء الوجود السياسي المزدوج: هُم جزء لا يتجزأ من المجتمع البرازيلي، وهُم في الوقت نفسه متفرّجون على تطوّرات الوطن الأم. إنّ نقل الصّراعات السورية إلى البرازيل ليس حكرًا على هذه الجالية، لكنّه يتخذُّ ملامح خاصة، تتبدّى في إقصاء الشتات العربي البرازيلي من السرديّة التاريخيّة لبلاد الشام.

الذاكرة في مواجهة النسيان:

إذا استُعيد تاريخ الشيشكلي على نحو أفضل، يمكن أن يزوّدنا بعناصر للتّفكير في كلٍّ من السياسة العابرة للحدود للمهجر وفي الأحداث الجارية في سوريا، حيث يبدو أن هُناك تكرارًا غريبًا لشخصيّة الشيشكلي في السرديّات حول الحكومة السورية الجديدة وشخصيّة الجولاني، «الرئيس الانتقالي»، لأرضٍ هي، كما في زمن الشيشكلي، مُقسّمة بين قوى خارجيّة (الكيان الصهيوني، تركيا، المملكة العربية السعودية، إيران، روسيا والولايات المتحدة)،

تَحشد خطابات قوميّة حول قائد قويّ لم يتوقّف، حتّى الآن، عن ارتكاب فظائع مثل تلك التي ارتكبها الشيشكلي في جبل الدّروز.

على الرغم من تبرئته من قبل عائلته وعددٍ من الشّهود، انتهت حياة الشيشكلي على يد أحد أبناء بلده، في واقعةٍ يظلّ الغموض يكتنفُها من حيث احتمال تمويلها من قِبل محيطه. ويبقى مصرع رئيسٍ أجنبيٍّ سابق داخل البرازيل، وتحديداً في بلدة سيريس الصغيرة، حدثًا جللًا لربّما أسهَم في تهميشه وقوعُه في هذا السياق الجغرافيّ البعيد. ومن ثمّ، فإنّ استعادة هذه الحادثة ليست لغرض التّوثيق وإنما لضرورة إعادة إدراجها في إطار التحليل التاريخيّ الأوسع، خاصة في لحظة العرب الرّاهنة التي تتكرّر فيها أنماط السّلطة، وتُعاد فيها صياغة الخطابات القوميّة، في حين تظلّ الرّوابط العابرة للحدود فاعلًا خفيًا، وإن كان حاسمًا أحيانًا، في تشكيل مآلاتها.

المراجع:

ليدي، جوزيف (2023). "الزعيم: الشباب، السلطة، والقومية السورية في المهجر، 1938ـ1944". مجلة مشرق ومهجر، المجلد 10، العدد 1، ص ص. 79ـ106.

ماك هوغو، جون (2015). سوريا: تاريخ حديث. نيويورك: دار ذا نيو بريس (The New Press).

وزارة الخارجية الأمريكية (1956). مذكرة من مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا وأفريقيا (ألين) إلى وزير الخارجية، واشنطن، 27 حزيران/يونيو. متاح على الرابط: https://history.state.gov/historicaldocuments/frus1955-57v13/d329

قناة الجزيرة (2022). من هو أديب الشيشكلي السوري؟. وثائقي الجزيرة: https://www.aljazeera.com/program/al-jazeera-world/2022/1/19/who-was-syrias-adib-al-shishakli

محكمة العدل في غوياس (2019). "بدء عرض ملف قضية اغتيال الرئيس السوري الأسبق في ولاية غوياس بمركز الثقافة والذاكرة". الموقع الرسمي لمحكمة العدل في ولاية غوياس، البرازيل. متاح على الرابط: https://www.tjgo.jus.br/ 15 حزيران/يونيو 2025.

Ex-Presidente da Síria assassinado numa cidadezinha de Goiás

O ÓDIO NÃO ESQUECE

TEXTO DE OSWALDO AMORIM
FOTOS DE ROBERTO STUCKERT

Adib Chichakli morava em Ceres, pequena cidade do interior de Goiás. Até mesmo amigos bem chegados sabiam apenas que êle era um sírio, mas não tinham, considerando suas palestras, elementos seguros para saber que êle era, ou tinha sido, um político em sua terra e que a política o elevara à Presidência da República e o atirara depois ao exílio povoado de grande tranqüilidade da cidadezinha de Ceres. Essas conversas não tinham muito interêsse para o homem que, um dia, conversando com um repórter desta Revista, desejara tão-sòmente que a Síria trilhasse o verdadeiro caminho do progresso e da paz e que não fôsse derramada em seu solo "uma só gôta de sangue árabe". O sangue de Adib Chichakli caiu sôbre o chão de Ceres (Estado de Goiás), por causa da política síria.

غلاف مجلة *O Cruzeiro* عند وفاة الشيشكلي عام 1964 تحت عنوان: الكُره لا ينسى.

منظر لمدينة ريالما؛ وتظهر في الصورة الجسر الخشبي الذي شُيّد في أربعينيات القرن العشرين.
حقوق الصورة: سيسيرو ليون جونيور

أنصار الشيشكلي يحملون نعشه.
حقوق الصورة: كورييو برازيلييننسي

نواس الرأس (نعم ــ لا):
نزاع الحاكم والمحكوم

موفق الحجّار

ما إن يستأنف رأس الإنسان حركته القديمة من
أعلى إلى أسفل ليقول نعم، حتى يعود الملوك
على الفور
آلان (إيميل شارتييه)

في محاضرة له عام 1961 نُشرت حديثًا في كتاب من أربعة أقسام (2023)، يفكّر جاك دريدا في مقولة الفيلسوف الفرنسي آلان (ايميل شارتييه) (1868ـ1951): **"أن تفكر: أن تقول لا"**، ويبدأ رحلة تفكيكيّة لهذه المقولة المباشرة والتأكيديّة. فيوافق في القسم الأول هذه المقولة، مؤكدًا على أن قول **"لا"**، هو مشروع الوعي، وهو بصورة أولى **"لا"** للنّفس التي تريد الاستسلام للواقع، أي أنّها "لا" تتصارع مع نفسها بهدف تحقيق ما هو أفضل. أو بعبارة أخرى، إن هذه النفييّة أو الرّفض هي مقاومة لما هو كائن، للوصول لما يجب أن يكون. لذا فإن الرّفض أو قول "لا" هو فعل أخلاقي بالدّرجة الأولى، لأنه يريد الأفضل، أو ما يجب أن يكون.

في الجزء الثاني من محاضرته، ينظّر دريدا لمقولة آلان، من السؤال عن ماهيّة الفكر، حيث يرى أن الفكر لا يقول "لا" لنفسه، بل للانحطاط الذي وصل إليه الفكر الأصيل، الانحطاط المُتمثّل بالتّسليم. فالتّسليم بنظره، هو "نعم" ساذجة ومبتذلة يجب إسكاتها لأنها تقع دون الحكم، وإنما تنقاد خلف المظاهر أو خلف أوّل سلطة. لكنّ دريدا يشير ـ عطفًا على آلان ـ أن التسليم والتشكيك يمثلان ثنائية ديالكتيكيّة أحدهما ضروري للآخر. وحين نقول "لا" للتسليم، فإننا نقول "نعم" لقيمة الحقيقة. أي نقول نعم لقيمة أخرى. وبالتالي يمكن أيضًا أن نقول: أن تفكر هو أن تقول نعم وفق هذا التصوّر، أي نعم للقيمة (الأكسيولوجيّة) أي لإرادة الحقيقة. وهو ما يثير سؤالًا يتجلّى في الكتاب: هل كلّ إرادة هي إرادة للخير؟ هل كلّ نعم، هي بصورة أو بأخرى إرادة للخير؟ فما يختلف بين من يقول نعم ومن يقول لا لفكرة معيّنة؟

نَعَم بالدم

في رأسي خلال قراءة الكتاب، تراوحت كلمة **نعم** متوحّشة من صفحة إلى صفحة، تستعيد صورًا مشوّشة للحظة سيطرت فيها على شوارع دمشق في عام 2007 كلمة واحدة: **نعم** ـ لبشار الأسد. جملة بسيطة انتشرت حتى صارت العين لا تراها لتَردُّدها في كلّ مكان، على الحيطان واللوحات الطرقيّة، والإعلانات التلفزيّة، وعلى شبابيك المؤسسات الحكوميّة، وواجهات المحلات التجاريّة، وفي محلات الفلافل والحمّص. كل دمشق (وأكيد كل سوريا)، في كلّ حارة وكل شارع، هنالك نعم كبيرة. **نعم** موجّهة إلى شخص واحد، وهو بشار الأسد. بهذه الأحرف الثّلاثة، سيطرت الدولة على المدينة، وأكّدت أن الشّعب السّوري قد اتّخذ قراره (مو قرارك الشعب اختارك) وقال كلمته (نعم لبشار الأسد). ثلاثة أحرف، ن، ع، م، سيطرت على بلد كامل، واهتزّت حلقات الدّبكة وقُرعت الطبول ووُزعت الشّاورما على الجميع واستمرّ الحال على ما كان حتّى لحظة الثّورة السوريّة التي بدأت بكلمة **لا** جهوريّة وواضحة، ثم دخلت في ألعاب اللّغة وتنوّعت فيها الكلمات والتوجّهات، بين لا ريبيّة، ونعم متخوّفة، ولا متنكّرة بنعم، ونعم متنكرة بلا وغير ذلك من الأقاويل التي لن تنتهي.

والآن في لحظة الحاضر، التي سقطت فيها نعم بشار الأسد، وفَرَّ المجرم من واقع سوريا، تعود معضلة النّعَم واللّا إلى الفضاء الاجتماسياسي السوري بطريقة مؤسفة، متجلّية في نزاع وعراك (في الفضاء العام، والسوشيال ميديا) بين جيوش من اليقينيّين والمُشكّكين لما هو كائن وما يجب أن يكون. فتتّجه السبّابات نحو الوجوه، راميةً بالأفكار والأيديولوجيّات المُتناحرة، مطلقةً اتّهاماتها اللّزجة، التي قد تمنع جسداً من الوجود، أو فكرةً من البقاء بمجرد اتّهامات كبيرة تتراوح دائمًا بين النّعم واللا. تسألنا السبّابة، وعلينا أن نجيب. بنعم أو لا. فنكون قاتلًا أو مقتولًا، ناجيًا أو مفقودًا، ضحيّة أو مضحيًا، والأهمّ من ذلك وطنيًا أو خائنًا، أو مطبِّلًا أو معارضًا. كلّ هذه المناحرات، تنتهي بقول نعم. وتتعاظم بقول لا. أو العكس. لكنها حتمًا تنطلق من هاتين الكلمتين البسيطتين.

"ما كان" و "ما يجب أن يكون"

تحكم الجملة المفتاحيّةُ (ما كان وما يجب أن يكون) فكرةَ العمل السياسيّ أو فكرة العمل بشكل عام؛ فتعبّر عن رغبة مجموعة من النّاس في التغيير. وكما يفكّر دريدا، فإنّ كلّ إرادة هي إرادة للخير (2023: 73)، يعتقد الرّاغب بالتغيير أن إرادته أفضل إرادة، وأن الحقيقة التي يسعى إليها أكثر أحقيّة من حقيقة غيره. وبالتالي فإن من يقول نعم لما هو كائن، ومن يقول لا هما وجهان لعملة واحدة، وهي عملة إرادة الخير. يتغنّى الجميع بالأخلاق، أو بالوطنيّة أو بالطهارة الدينيّة. فما الذي يختلف بين كل هؤلاء الرّاغبين؟

تتصارع الآيديولوجيّات السوريّة على جميع الجبهات اليوم، وتحاول كل الأطراف أن تسيطر بوعي أو بدون وعي، ولا سيّما بعد لحظة الأسد، أو لحظة سقوط البعث السوري الذي شكّل لعقود الإطار المعرفي (الإبستيم*) والآيديولوجي لكثير من السوريين الموالين والمعادين له. ولذلك يبدو في هذه اللحظة التخلخل (أو الضياع) الآيديولوجي الذي أصابنا في لحظة حقيقة سياسية لبدء معركة جديدة. معركة تبدأ بمجرد تفعيل الآيديولوجيا غير الواعية أو الواعية التي انتظرت طويلاً (أو قُمعت) لتعود إلى العلن.

* أقصد بـ «الإبستيم» البنية العميقة للمعرفة التي تحدد شروط إمكان التفكير والخطاب وتشكّل ما يمكن اعتباره حقيقة ضمن حقبة تاريخية معينة، بالاعتماد على الفيلسوف ميشيل فوكو. وفي هذا السياق، لم يكن البعث السوري مجرد نظام سياسي، بل إطاراً معرفياً شكّل كيفية فهم كثير من السوريين للدولة والسلطة والهوية.

في مقاله «ما هي الآيديولوجية؟» (2006) يؤكد لوي ألتوسير أن الآيديولوجيا في جوهرها لا واعية حتى وإن تبدّت لنا في شكل واعٍ، وهي عبارة عن نسق من التمثّلات التي تشكّل موضوعات ثقافيّة ـ تدرك وتُقبل وتُعانى فتؤثّر على البشر وفق عمليّة يجهلون مدلولها. ويضيف بشكل يفيدنا في فهم الصراع السوري، بأن الآيديولوجيا تتعلّق بعلاقة المعاناة (المظلومية) التي تربط الناس بعالمهم، والناس فيها لا يعبّرون عن علاقتهم مع ظروف عيشهم، بل عن الكيفيّة التي يعيشون بها علاقاتهم مع تلك الظروف. ويضيف "في الإيديولوجية توضع العلاقة الحقيقية داخل العلاقة الوهمية: تلك العلاقة التي تعبر عن إرادة أو أمل وحنين أكثر مما تصف واقعًا معينًا" (2006: 10).

تنقسم الجماهير في النعم واللا، تبعًا للآيديولوجيا غير الواعية، المربوطة بمعاناتهم الحقيقية والمتخيّلة في سرديّة تُشكّل واقع المجتمعات (أو المكونات) السورية، فتصبح الآيديولوجيا المحرّك الأساسي لقيمة هذه النعم وتلك اللا، فهي التي تحدّد رؤيتنا للواقع وفضاءنا الأخلاقي. إنّها ما يضعنا على مستويات مختلفة ومسافات متباينة من شكل سوريا الذي نتنازع عليه. ولذلك ينبري جمهور السلطة الجديدة في الدفاع عنها خوفًا من عودة أو من نشوب واقع سوري آخر لا يتناسب مع معاناتهم التي تم تسريدُها (narrativised) بأساليب مختلفة حتى ضاع فيها الحق في الباطل.

يبدو الصراع السوري اليوم إذن، بين نعم للحاكم ولا للسوريين الأعداء، نعم لآيديولوجيا الحاكم ولا لمن عاداها. أي أن الصراع صراع أفكار سياسية بين دولة إسلاموية (ذات مخيال أموي) وبين دولة علمانية، أو دولة مواطنة، أو دولة فلول أو دولة فيديرالية وغيرها. لكنّ هذا الصراع الآيديولوجي هو صراع سلطوي بالدرجة الأولى، صراع يريد الاستبداد بالحكم والتثبيت، بمعنى أنه ليس صراعًا على رؤية الواقع وكيفية العيش فيه فقط، وإنما صراعٌ للسيطرة على الواقع ومحاولة نفي تعدديته. وإن هذا الاستبداد سيعول دائمًا على جرائم مناصريه وعلى قدرتهم الاستثنائية في قول "نعم" لهم في كل خطوة.

تتكاثر الجرائم السورية اليوم، وتعلو الأصوات التي تتخيل معاناتها وتخلط خيالها (التاريخي) بواقعها وتصبح فكرة "سوريا" أكثر تعقيداً مما مضى. وتطفو الهويّات الصغرى على حساب الهوية السورية (التي فشل مشروعها السياسي على ما يبدو) ويخلط الجميع بين خيالاتهم الجماعاتية (أحلامهم الآيديولوجية) وبين الواقع الذي مَرّ ويمرّ وسيَمر. وبدرجات مختلفة يتبادل السوريون الكراسي، في لعبة لا تكاد تنتهي حتى يموت معها آخر "سوري".

وتظهر أسئلة مُحقّة مثل: هل انطلقت الثورة لتحيي الدولة الأموية؟ أم أنها انطلقت لتبني المساجد في الكليات التعليمية؟ هل انطلقت الثورة كي تعاد أراضي وزارة الأوقاف، أو لتغيير أصحاب العقود الدولية من الشرق للغرب؟ هل انطلقت الثورة لتغيير الواقع السياسي "الشيعي/العلوي" ليصبح واقعًا "سنيًا"؟ لأنه ووفق ما اتفق السوريون، فقد انطلقت الثورة من أجل الكرامة، أي من وازع أخلاقي يهدف إلى استعادة الكرامة المهدورة للسوريين، لا لإذلال جماعات دون أخرى أو إعادة إنتاج الذل بصورة جديدة. (هل سنرى نعم لأحمد الشرع أو غيره من الأسماء الصاعدة، في طرقات دمشق/ وغيرها من المدن السورية؟).

(نعم ولا) في رأس المواطن

خلال الثورة السورية، اتّجهت الاتّهامات دومًا نحو الشعب الرمادي في سوريا، بصفته غير مؤيد أو معارض للدولة حينها، وقد كره الجميع وجود الرماديين غير الفاعلين. فهل ما زال الرماديون في سوريا جزءًا من المشهد السياسي؟ يكتب ناصيف نصار (2017) عن بطلان فكرة أفول الآيديولوجيا في محاضرته عن الديمقراطيّة والصراع العقائدي، ويعرّف الآيديولوجيا بأنّها تعبير من تعبيرات الإنسان الاجتماعي كذاتٍ تفعل.

فهل يمكننا من هذا التعريف أن نعبّر عن الرماديّين بكونهم ذوات آيديولوجية غير فاعلة سياسيًا؟ وإن كان ذلك، فأين هم اليوم وكيف يؤثر لا وعيهم الآيديولوجي في صراع السلطة السوري. أحاول أن أطرح على نفسي السؤال دائمًا، هل كل من في سوريا لديه أجندة سياسية تريد أن تحقق واقعًا يناسبها؟ هل هناك رأس غير منخرط بالفعل السياسي في بلد أنهكته حرب طويلة نالت من جميع المجتمعات السورية تقريبًا؟

ولا تخفى على أحد آلام النزاع الطويل التي يمر بها الشعب السوري عمومًا وويلات الفقر والحاجة والقلة والمعيشة البائسة. فماذا يريد المواطن السوري؟ هل أراد الانفصال من قبل؟ هل أراد دولة إسلاموية، هل أراد حكمًا لا مركزيًا؟ هل أراد اعترافًا هوياتيًا؟ هل نفكر بهذه الأسئلة أو نناقشها؟ ولا سيّما في ظل الضخ الإعلامي للسرديّات المتناحرة وملايين

الدولارات الوهمية لمشاريع إعادة تعمير سوريا والوعود التي من شأنها أن تستنهض الإنسان للدفاع عن معطيها، فتنطلق الفزعات الإلكترونيّة والواقعيّة للهجوم على كل من يزلزل هذه الوعود. وإذّاك، هل يمكن التّشكيك بأن هذا التوافق الشعبي مع الحكومة هو اتّفاق آيديولوجي معها؟ هل يمكن التفكير فيه كمحاولة للتشبّث بفكرة النجاة؟ وبنفس الطريقة هل يمكن التفكير بأن اتفاق طرف ما مع تدخّل إسرائيل، أو تشكيل إقليم داخلي بإدارة ذاتيّة، ليس نابعًا من توافق آيديولوجيا بل من محاولة للنجاة من الموت المحيط؟

إنّ التنوع الثقافي السوري، والآيديولوجي، والعقائدي الديني (ومؤخرًا السرديّ ـ بمعنى وجود سرديات مختلفة لكل جماعة عما حدث/يحدث) من دون شكّ ينعكس في النزاعات الأونلاينيّة بين السوريين، ويتبلور على الأرض من خلال الإضرابات أو المُظاهرات أو المَسيرات والمُناكفات أو حتّى من خلال الفزعات العشائريّة والتكتُّلات القبليّة والفنتازيّات الدينيّة والتاريخيّة. لكن هل يمكن التفكير بأنّ الواقع الجديد يفرض على السوريين (بعضهم ـ غير الفاعلين سياسيًا) الانخراط في هذه المعركة من باب الحرص على حبل النجاة الذي يتجلّى في كل آيديولوجيا؟

أنا إنسان ماني حيوان أو أنا سوري يا أخي

على ماذا سنعوّل اليوم في إيقاف هذا الحقد المتنامي بين أطراف الشعب السياسي وغير السياسي؟ الحقد الذي يتحول يوميًا إلى صراع هويات ضيّقة. ولا سيّما مع اتّضاح هشاشة فكرة الهوية السورية التي اعتمدَت بشكل أساسي على هوية حزب البعث سابقًا. فما إن سقط البعث، بدأ تهافُت معالم الهوية السورية ذاتها وانتشرت السرديّات الصغرى في سبيل مقاومة التفكّك.

وكأنّه كما قال عزيز العظمة "لا مستقبل لسوريا كبلد إلا إذا أُعيد اختراعها" (2015: 156). إذن علينا إعادة اختراعها واختراع هويّة وطنية سورية. وإلى ذلك الحين، هل يمكننا أن نفكّر بمعنى الوطنية السورية اليوم؟ أن نفكّر بما يحدّد الانتماء الأساسي الوحيد الذي يوحّد أفراد الشعب وجماعاته توحيداً شاملًا أفقيًا وعموديًا (نصار، 2017). ولكن قبل أن نعرّف الوطنية السورية، وإلى حين ذلك، ألا يجدر بنا أن نتوقف عن هذا الانقياد الأعمى نحو الانحطاط؟

يقول عبد الرحمن الكواكبي في «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد»: "إن الحكومة من أي نوع كانت لا تخرج عن وصف الاستبداد ما لم تكن تحت المراقبة الشديدة والاحتساب الذي لا تسامح فيه" (2010: 16). فهل علينا أن نعيد النظر بكل هذا الانجراف والتطبيل؟ هل علينا أن نوقف المهرجانات المجانيّة للنّظر في حال بعض المدن السورية؟ المدن التي عشنا مع أهلها وتقاسمنا معهم القهر والخبز؟ ولا شكّ أن في ذلك مجاهدة للنفس الأمّارة بالنَعم، التي تريد أن تستسلم للأفكار السهلة الواضحة وتقول نعم، هذا الواقع أفضل من السابق (وخلص).

هل مات الناس لأنهم يستحقون الموت؟

"إن إمكان الطغيان، إذ ذلك إمكان العبودية، يستوجب قولي "نعم" وتوقفي عن النقد" (دريدا، 2023: 40) ومن هذه العبارة ننطلق في تشكيكنا لواقع سوريا الجديد وحكومتها الجديدة والمبتذلة، فلو فكّرت كل نعم أُطلقت منذ لحظة سقوط النظام، بذاتها قبل ذوات الآخرين، لفهمت أنّ هذه النَعم غير المشروطة ستسمح للمجرم بالاستيلاء على الشارع وتمزيق الرايات التي كنا لنستظلّ بها. (فمن لم يحزن على موت بريء لن تحرّكه فاتورة كهرباء وهكذا تسقط الشّوارع بيد المجرم).

لا تطلب هذه المقالة بديلًا سلطويًا، ولا تقترح مشروع حكم، ولا تزعم امتلاك إجابة جاهزة لسوريا الممزّقة. لا تريد هذه المقالة سوى أن تطلب التوقف عن إعادة إنتاج النَعَمات المتوحّشة التي اشتُهرت بها سوريا. أريد أن نتساءل ولو لثانية واحدة قبل ضغط السبّابة على الزناد. أن نتذكر أن **"أنا إنسان ماني حيوان"** و **"أنا سوري يا أخي"** عبارتان متوازيتان، عبارتان تركّزان على القيمة التي تعلو على الخلاف العقائدي، عبارتان تستدعيان انتماءً إنسانيًا وسوريًا مشتركًا يتجاوز السلطة والدولة، لأن في كليهما يستنكر المواطن واقعه ويدعو المجرم إلى التفكير قبل الضغط على الزناد، و المتفرّجين إلى التفكير، أي إلى قول لا، والاستغناء عن هذا اليقين غير المفهوم بالنظر إلى واقع سوريا المتفتت اليوم.

اليوم يسخر منا أصدقاؤنا والأقارب قبل الأعداء، حين نصرخ ونقول إن هذا العنف اللانهائي يعيد الدماء إلى شلّالات الحقد والانتقام، يسخرون منّا إذا سألناهم أن يفكّروا بموقف الحكومة من الكيان الجار الذي يريد أن يلتهم الأنهار، يسخرون منّا إذا قلنا إن سيطرة الآيديولوجيا الواحدة ستدمّر إمكانيات المستقبل، ويسخرون من كل كلمة **"لا"** في وجه المجرمين الذين اغتسلوا بلحظة التّحرير وظهروا لنا كأبطال مخلّصين، اليوم فقط، تبدو إمكانية قول "لا" مُلحّةً أكثر من أي لحظة في تاريخ سوريا القصير، فإننا بحاجة إلى نعم واحدة للإنسان السوري، و"لا" لانهائيّة لكل حاكم يريد أن يثبّت كرسيه بجماجمنا.

لا وألف لا

يجب أن نحافظ على اللّا التي أسقطت المجرم، وراح لأجلها مئات آلاف السوريين. "لا" تُفكّر بضرورة توقّف موت السوريين، اللا التي تريد واقعًا أفضل **لكلّ** السوريين. يجب أن نحافظ على إمكانية قول هذه اللا، وأن نسمح لغيرنا بأن يقولها أيضًا، لأنّ بهذه اللا وحدها وعبر الرفض فقط، يمكننا أن نحصل على ما نريد، ولا يعني ذلك أننا غير وطنيين، بل إن التسليم للأمر، والرّضا بالواقع، ليس إلا بقايا تفكير بعد كولونيالي من واقع (فرنسي وعثماني وغيره) يفرض فيه المستعمرُ الواقعَ على الشعوب المُستعمَرة ويجبرهم على هزّ رؤوسهم والرضا بما هو كائن دون أن يفكروا بما يجب أن يكون.

لا وألف لا. بعد مرور سنة كاملة على التغيير، ما زال البعض يتغنّى بإنجازات خُلبيّة، ويلاحقون بيانات السلطة كي يقولوا نعم، بالروح والدم، نعم لهذه السلطة الجديدة، ولا لكل من يقول لا لها. يطلقون ضحكاتهم فوق القبور، ويغنّون فوق الجثث، يقولون نعم لمشاريع الفراشات الوهميّة، ونعم للفعس والدعس لكلّ من يخالف الحكومة، ونعم لسوريا لا تقبل بالآخرين، نعم لتكفير أهلنا، نعم لإخراج الموظّفين من وظائفهم، نعم لمكافحة التسوّل وملاحقة الأطفال المتسولين، نعم لقتل العلويين والدروز وتفجير المسيحيين إن لزم الأمر، نعم للاعتقالات غير الموثّقة وللمُعتقلين الذين يقتلون أنفسهم بأدوات حادّة، نعم للعواء والـ"ابكي بترتاح"، نعم للطائفيّة، وللغزو ولاستنهاض التاريخ الدامي، نعم للتعاون مع الأعداء، نعم لمسامحة المجرمين، نعم للعودة إلى أحضان الدول التي دمرت سوريا، نعم للمقتلة، نعم للجهل، نعم للتدخل في حياة الناس اليومية، نعم للعنف، نعم لمجلس الشعب الذي لا شعبَ فيه، نعم لتقديم الولاء على الكفاءة، نعم للإعلام الحكومي الأعمى.

نعم لكلّ شيء تفعله الدّولة. ولا وألف لا للسوريين. لا لكل سوري لا يريد أن يقول نعم. وقد تعني هذه اللا أن نقتل هذا السوري. أو أن نهاجمه أونلاين بالضحك والشتيمة، إلى أن يصمت بشكل نهائي. ويسلّم، ويقول نعم. نعم ساذجة وغبيّة تناسب واقعنا الذي لا يفكّر. ورغم أن جيش النعم أكبر بكثير، سأتذكر كل لا موجودة، وسأظلّ أتذكر الرجل الذي قال لا، بصيغة "أنا سوري يا أخي" حين رفض الإجابة عن سؤال بسيط وقاتل، سأتذكر، الوطن الذي قال لا لضابط جيش متغطرس، والطفل الذي قال لا لوزير يسأل أسئلة تافهة. سأتذكر كل لا سورية، لأنها السبيل الوحيد للنجاة.

بالمختصر، ما نحتاجه اليوم ليس اتفاقًا على "نعم" جديدة، بل شجاعة تحمّل "لا" غير مضمونة النتائج. "لا" لا تدّعي الطّهارة، ولا تزعم امتلاك المستقبل، لكنها تمنع تكرار الماضي. فالتفكير، كما يذكّرنا دريدا، ليس راحة، بل قلق، وليس يقينًا، بل مقاومة دائمة للانزلاق نحو الطاعة. وحدها هذه المقاومة، الهشّة والعنيدة، قد تفتح إمكانًا لوطن لا يُبنى على المقابر، ولا يُدار بإيماءة رأس. أما بعد ذلك، فنستطيع أن نتعارك فكريًا وننوس بين نعم ولا، تهدفان لإنتاج واقع سياسي مختلف.

المراجع:

جاك ديريدا، *أن تفكر: أن تقول لا، ترجمة: جلال بدلة*، (بيروت: دار الساقي، 2023).

لوي ألتوسي، مقالة "ما هي الإيديولوجية"، كتاب الإيديولوجيا، إعداد وترجمة: محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، (الدار البيضاء: دار توبقال، 2006).

ناصيف نصار، *الديمقراطية والصراع العقائدي*، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2017).

عزيز العظمة، *سوريا والصعود الأصولي*، (بيروت: دار رياض الريس للكتب والنشر، 2015).

عبد الرحمن الكواكبي، *طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد*، (القاهرة: مؤسسة هنداوي، (2010

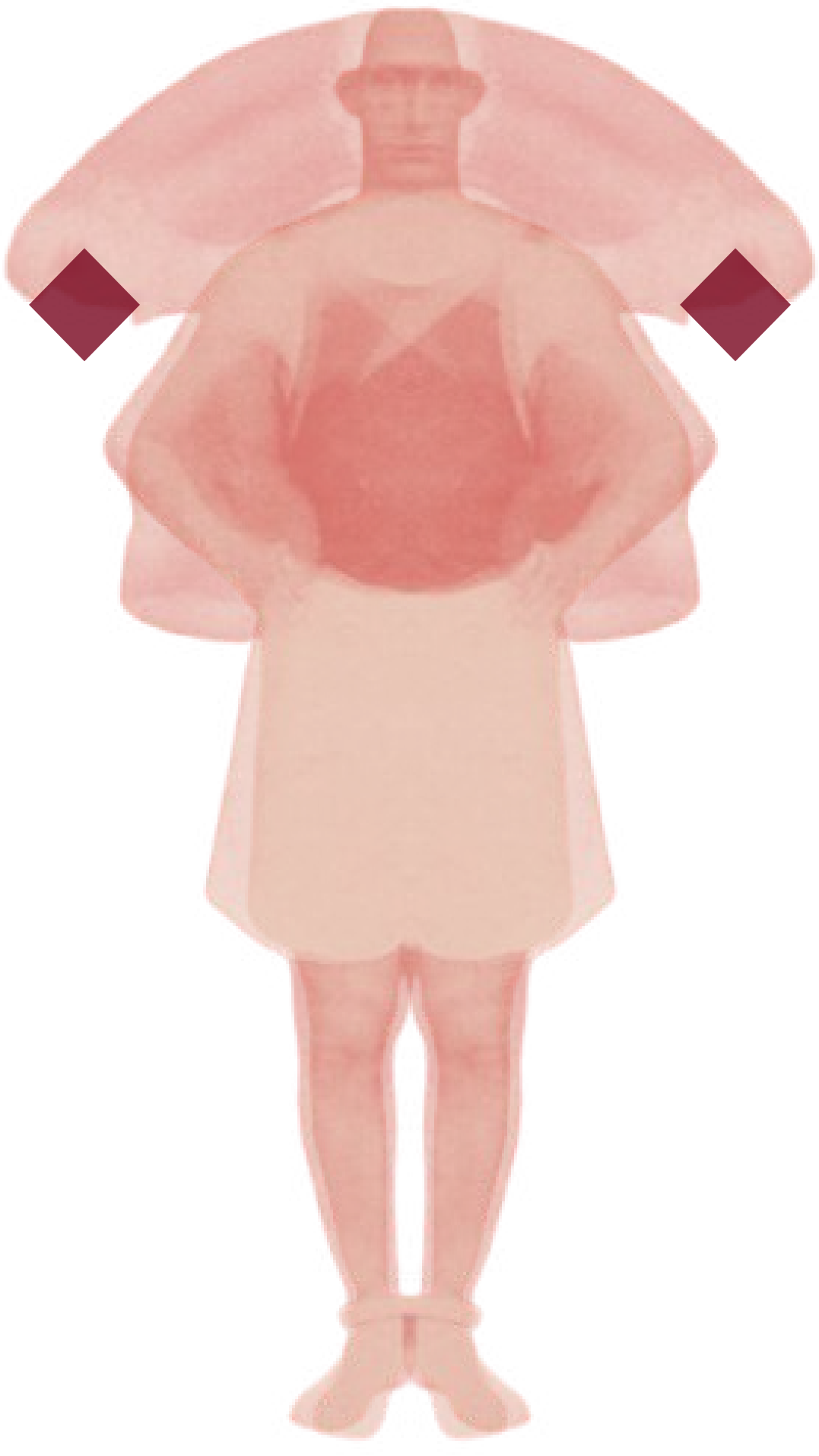

ثقافة

فنون

آداب

على حدود ثقافتين: نبذة عن رضوان نصّار وأعماله

صفاء جبران

يُعَدّ رضوان نصّار أحد أبرز الأصوات الأدبيّة في البرازيل المُعاصِرة، رغم محدوديّة إنتاجه. وُلد عام 1935 في ولاية ساو باولو لأسرةٍ مُهاجِرة من أصلٍ لبناني (من إبل السقي، جنوب لبنان)، وهو ما ينعكس بعمق في عالمهِ الروائيّ، حيث تتقاطع الذّاكرة العائليّة والسُّلطة الأبويّة والتقاليد مع أسئلة الهويّة والتمرّد واللغة. درَسَ القانون والفلسفة والآداب الكلاسيكيّة في جامعة ساو باولو، قبل أن يُكرّس نفسه لفترةٍ قصيرةٍ للكتابة، ثم ينسحب منها نهائيًا في منتصف الثمانينيّات، في قرارٍ نادر جعَلَهُ شخصيّة شبه أسطوريّة في الأدب البرازيلي. وقد تُوِّج مساره الأدبي بحصوله على جائزة كاموينس عام 2016، أرفع جائزة في الأدب النّاطق بالبرتغاليّة. بالإضافة إلى روايته الأولى **حرث قديم**ـ *Lavoura Arcaica* وهو العمل الأبرز، صدر له عملان آخران: **كأس من الغضب**ـ *Um Copo de Cólera* رواية قصيرة نشرت عام 1978 وتُعرف بأسلوبها المكثّف والمقاطع الطّويلة المتواصلة في جملة واحدة. ترجمها الى العربيّة محمد الجاروش وصدرت عن منشورات الجمل أما الكتاب الثّاني **فتاة على الطريق**ـ *Menina a Caminho* فهو مجموعة من القصص القصيرة جاءت بلغة شاعريّة شديدة الحساسيّة؛ ترجمها إلى العربية عبد الجليل العربي وصدرت عن الدّار نفسها.

أما روايته الأولى **حرث قديم** الصّادرة عام 1975 فهي عبارة عن نصٍّ شديد الكثافة، ينهل من البنية التراجيديّة ومن الإيقاع التوراتي والقرآني، ويروي قصّة شاب يتمرّد على النّظام العائلي الصّارم الذي يقوده الأب في عائلة ريفيّة محافظة تقوم على الطّاعة والعمل والأرض. يجدر بالذِّكر أن هذا التمرّد لا يُقدَّم بوصفه تحرّرًا بسيطًا، بل كصراعٍ وجوديّ مع اللّغة، والجسد، والرّغبة، والذّاكرة.

الرّواية مبنيّةٌ على صوتٍ داخلي واحد، متوتّر ومتدفّق، يروي تمزّق الابن داخل بنية عائليّة مغلقة تُمارَس فيها السّلطة باسم الحب والدين والتقاليد. يتداخل في السّرد الاعتراف بالهذيان، والرغبة بالذنب، والتمرّد بالحنين، واللغة بالصّمت. يستملّ نصّار قوة نصّه من لغته قبل أي شيء آخر: الجملة الطّويلة، الإيقاع المُتتابع، والتكرار المقصود، ممّا يجعل من القراءة تجربة جسديّة بقدر ما هي فكريّة، وكأن السّرد نفسه يخضع لعمليّة "حرث" متواصل يعيد فتح طبقات الذّاكرة والجِراح.

يَحمل عنوان الرّواية دلالة رمزيّة كثيفة؛ فالحرث ليس مجرد عملٍ زراعيّ، بل فعل قاسٍ ومتكرّر من شقّ الأرض والذّاكرة، كما لو أن الماضي لا يُمكن استحضاره إلا عبر العنف. بهذا المعنى، تُقرأ الرّواية بوصفها نصًّا عن العنف الرمزي داخل العائلة، وعن استحالة القطيعة الكاملة مع الأصل، وعن اللغة كساحة الصّراع الأخيرة. إنها رواية لا تقدّم خلاصًا، بل مواجهة عارية مع الجذور، حيث يتحوّل الماضي إلى قوّةٍ حاضرة لا يمكن تجاوزها إلا عبر الكتابة نفسها.

يحتلّ الفصل السّابع من هذه الرواية مكانًا بالغ الأهميّة داخل بنية النص العامة؛ ففيه تبلغ حدّة الصّراع الداخلي ذروتها، وتتكثّف نبرة الاعتراف، وتظهر العلاقة الملتبّسة بين الحب والخطيئة، وبين الجسد والنّاموس. إنه لحظة كاشفة تتبلور فيها الأسئلة الكُبرى التي يطرحها العمل: هل يمكن التنصّل من الجذور دون تدمير الذّات؟ وهل اللّغة وسيلة خلاصٍ أم ساحة صراعٍ أخيرة؟

وأخيرًا وليس آخرًا، إنّ التّرجمة الكاملة لنصّ حرث قديم إلى العربيّة سيمثّل استعادة لنصٍّ كُتب على حدود ثقافتين، ويخاطب بعمقٍ استثنائيٍّ قلق الإنسان إزاء السّلطة، والانتماء، والرّغبة، والذّاكرة. هي محاولةٌ للإصغاء إلى ذلك الصّوت المتوتّر، وتركِه يصل إلى القارئ العربي بما يحمله من جمالٍ وقسوةٍ معًا.

حرث قديم

الفصل السابع:

"عندما أخبرتُها أنني قادم لإعادتك، وقفَت ساكِنة، عيناها مليئتان بالدموع، كان خوفًا، ذاك الذي في عينيها، ما هذا يا أمي؟ قلتُ لها. ابتهجي قليلًا، لا بل يجب أن تضحكي حتى، قلتُ لاهيًا بشعرها، لا تحزني هكذا ولا تقلقي، أضمن لك أنه لن يكون أي اغتياظ من ذلك الفارّ، سوف ترين ابنك سعيدًا، ما عليك إلا الانتظار قليلًا، قلتُ لها. سترين كيف ستعود الأمور إلى ما كانت عليه من قبل، قلت لها، فعانقتني وبينما كانت تعانقني قالت، عُدْ به يا بيدرو، أَعدْه ولا تقُلْ شيئًا لأخيك ولا تخبر أخواتك بأنك ذاهب للمجيء به، أحضره وحسب. ولما قلت لها، دعكِ من هذا يا أمي، كانت لا تزال قادرة على القول، سوف أُعدّ العجين للكعك الحلو الذي كانَ يحبّه، قالت ذلك وهي تشدّني إليها وكأنها تشدّك إليها يا أندريه، وابتسم أخي، عيناه صافيتان، ممتلئتان بالضوء، كان الحنو الأكثر نصاعة في العالم في نظراته نحوي بيدَ أن ذلك لم يؤثر بي بالضبط، فالتزمتُ الصّمت، ومن ذاكرتي الرطبة، استحضرتها وهي تنزعني من الفراش، "تعال يا قلبي، تعال معي" ، وتسحبني من يدي الى المطبخ وعند الطّاولة، تضغط بأصابعها في قعر وعاء، ليس بالشّوكة، بل بأصابعها الثّخينة كانت تلتقط لقمةً تضعها في فمي "هكذا نطعم الحمل"، كانت دائمة القول، فسمعتُ أخي يقول فجأة وبحذر "لقد شاخت الوالدة كثيرا"، ولكني سلكتُ المسار الآخر فتمكّنتُ من رؤيتها جالسة على كرسيها الهزاز، وحيدة تمامًا وتائهة في أحلام اليقظة الرماديّة، تَفْرط منذ الصبح ما نسجته طوال الحياة حول المحبّة واتحاد الأسرة، ورأيت المشط في شعرها، في بساطته المهيبة يرفع كعكتها فشعرت حينها أنه يضاهي كتاب تاريخ وشعرت أيضًا، وأنا أفكر بها، أنّ الثمرة التى كانت تنمو فى حلقى صارت على وشك الانفجار ولم تكن أية ثمرة، كان كوز تين يقطّر منه العسل الكثيف الذي يسدّ رئتي ويرتفع بروعة حتى عيني، وباجتهادٍ عظيم حاولت إطباق جفنيّ فسددت كل مساماتي، بيد أن ذلك كان عديم الفائدة، لأن لا شيء آخر ردع أخي في حرثه الدؤوب. "لكن لا أحد تغيّر في المنزل مثلَ آنا " قال، "على إثر رحيلك، تغلق على نفسها في الكنيسة الصغيرة، تصلّي، هذا عندما لا تختفي في زاوية أكثر عزلة من الغابة أو شبه مخفيّة، بطريقة غريبة، حول البيت القديم؛ لا أحد في المنزل يستطيع أن ينزعها من صمتها الورع؛ تغطّي رأسها دومًا بمنديل، ها هي آنا، قدمان حافيتان، وكأنها تمشي في نومها، تقضي النهار تائهة في المزرعة، لا أحد يثير القلق فينا مثلها"، قال، أما أنا فرأيت غرفتي وقد غرِقَت في الظلام فجأة، ظلام لا أحد يعرفه مثلي، كان ظلامًا يحثني على إغلاق عيني من الخوف، لذا نهضتُ، أقاوم دوخة أصابتني، وبحجة ملء كأسَينا، وبخطى مترنّحة وصلت إلى الطاولة وأخذت عنها الزجاجة ولكن بمجرد أن أملتها لأسكب النبيذ في كأس أخي، لمحت يدَ أبي في يده التي ارتفعت بحركة

"لن أشربَ المزيد"، قال بجديّة وبحزم وقد تغيّر بغرابة، "لا ينبغي عليك أن تشربَ أكثر، أنت أيضًا، فليس من هذا الخمر تأتي حكمة الوالد"، قال فجأة، وقد بدا على حاجبه أثر غاضب، كأنّه تخلّى عن كسر صمتي بالمودة، موضِحًا أنه من تلك النقطة فصاعداً كان من المقرّر أن أخضع لتوبيخ قاس، "ليست روح هذا النبيذ هي التي ستصلح الكثير مما لحق ببيتنا من ضرر". تابع بحدّة ، "ضعْ هذه الزجاجة بعيداً، وتوقّفْ عن الفجور، فنحن نتكلّم هنا عن الأسرة" ومضى بكلامه بقسوة، وبعداء معلن، مما جعلني أشعر فجأة أن الكلب الذي كان يظلّ مستلقيًا على الحفاف قد فلت من اللّجام، وجعلني أشعر أنّ أي ضبط للنفس والرصانة في تلك اللحظة يستحقّ مني الازدراء الأكثر سخرية، وفي ومضة من الضوء، جعلني أشعر أنها ستكون نعمة سخيّة لو سقطتُ من السقف ببساطة، شعرتُ كل ذلك وأكثر من ذلك بكثير وقد اجتاحتني ارتعاشات هزّت جسدي كلّه في تشنج جبار "لا بأس أن نشرب". صرختُ هائجًا، هذا الهيجان الذى كان يجب أن يحدث منذ فترة طويلة في البيت، "أنا مُصاب بالصّرع"، انفجرت، متشنجًا أكثر من أي وقت مضى بسبب التدفق العنيف لدمي "بالصرع"، صرختُ وكنت أبكي في داخلي، مع العلم أنني كنت أُلقي على الأرض، جارحًا كفّي، جرةَ هُويتي القديمة التي صنعتها من الطين بنفسي وراميًا بنفسي على وجهي فوق الشظايا على الأرضية وبغضبٍ مجنون ولولتُ، "أخوك مصروع، أدرِكْ ذلك، وارجِع الآن الى البيت واحمل معك هذا البوح وسوف ترى كيف ستغلق أبواب ونوافذ المنزل عند اصطدامها بهذه الريح وكيف أنكم، رجال العائلة، ستحملون صندوق معدّات الوالد الثقيلة وسوف تحيطون بالبيت، مقنّعين، تطرقون وتسمرون بعنف دفّات النوافذ بالألواح على شكل صليب، وسوف تتوشّح الأخوات ذوات الطبع الشرقيّ بالملابس السوداء وسيملأن البيت بجوقة من العويل، والنوح والتنهدات في هذه الرقصة العائلية المغلقة يرافقها سرب من المناديل لتغطية وجوههنّ، باكيات ومتعبات ولسوف يتجمعنّ في زاوية واحدة بينما تقول أنت بصوت يرتفع ويرتفع "شقيقنا مصروع، متشنّج وممسوس"، وقل أيضًا إني اخترت غرفة في نزل تناسبني وقل أيضًا "عشنا برفقته ولم نعلم، ولا حتى شككنا بالأمر" ويمكنكم أن تصرخوا بصوت واحد يائس "لقد خَدَعنا، خَدَعنا"، واصرخوا بقدر ما تتمكّنون، وانغمسوا في هذه المعرفة المتجدّدة، حتى لو ما كنتم على دراية بالشبكة الشرّيرة التي تمّ القبض عليّ فيها، وأنتَ، بصفتك الأخ الأكبر، يمكنك أن تولول في أنين يائس، "إنه لأمر محزن للغاية أنّ دمّنا واحد"، ثم اصرخ بصوت أعلى وأعلى، "لقد أُصيبَ بطاعون ملعون"، وامضِ في الصراخ "يا للعار الذي حلّ بنا، وتساءلْ بحنق، ولكن كمن يُسبّح، "ما الذي يجعله مختلفًا؟" وستسمع صوتًا كئيبًا أجشًّا آتيًا من جوقة الكتلة عديمة الشكل المُتجمّعة في الزاوية، "لقد مَسّه الشيطان" ، فامضِ قدمًا وقلْ، "عيناه قاتمتان" ، وستسمع صوتًا كئيبًا وأجشًّا آتيًا من جوقة الكتلة عديمة الشكل المتجمعة في الزاوية، "لقد مَسّه الشيطان" وامضِ بتمويه حجارة هذا المجرى وقل بصوتٍ مليءٍ بالدّهشة وبالخوف، "يا لها من جريمة شنعة ارتكبها! يسكنه الشيطان" ، ثم قلْ، "لقد لوّث الأسرة، حكم علينا أن نحترق بالنار"، وسوف تستمر بسماع

وسوف تستمر بسماع الصوت الكهفيّ المُجوّف ذاته، "لقد مسّه الشيطان! يسكنه الشيطان" ، وبشيء من الجلبة، كمن يجدّف، ارفعوا أياديكم واصرخوا تجاه السّماء في انسجام تام، "لقد تخلّى عنا، لقد تخلى عنا"، وبعد ذلك، بعد الكثير من الرّثاء والبكاء وطحن الأسنانً، وبعد التّباهي بالشَّعر على صدرك، اتّجهْ مباشرة الى خزانة الثياب وافتح بسرعة بابها، وتناول منها شراشف الكتّان القديمة المحفوظة هناك باجتهاد، وانتبه، انتبه لأنّك سوف ترى أنّ حتى تلك الشّراشف مثل كلّ شيءٍ في بيتنا، حتى تلك الأقمشة المَغسولة بعناية، البيضاء المطويّة بِعناية، كلّ شيء، يا بيدرو، في بيتنا مُشبّع بشكل سقيم بكلام الأب، حتّى هو، الأب الذي كان يقول دومًا "ينبغي البدء بالحقيقة والانتهاء بالطريقة ذاتها"، كان دائمًا يقول أشياء كهذه، كانت تلك الخطب العائليّة ثقيلة، لكنه كان يبدؤها دائمًا بكلمته، حجر الأساس، وكان ذلك الحجر هو الذي نتعثّر به منذ صغرنا، والذي كان يخدش جِلدنا كلّ دقيقة، والذي يُسبّب لنا الضّرب والكدمات، انظرْ يا بيدرو، انظرْ الى ذراعيّ، وكان هو ذاته يقول، وإجمالاً من دون أن يفقه ما يقول، وغير متأكّدٍ كيف سيستخدم كلٌّ منا ما يقوله، يقول، غير مبالٍ "انظر إلى قوّة الشّجرة التي تنمو بمفردها والظلّ الذي توفّره للقطيع، انظرْ إلى الأحواض، تلك الأحواض الطّويلة التي تعلو وحدها في رحابة المراعي، إنّ نِعمَها السّنة متعدّدة، حيث تأتي الماشية للحصول على الملح اللازم من أجل تطهير لحومها وجلودها، كان يقول دائمًا أشياء من هذا القبيل في نحوٍ خاصٍ به، صعب وصلب من الشّمس والمطر، كان ذلك المزارع الليفيّ يلتقط من الأرض الحجر غير المتبلور الذي لم يكن يعلم أنّه قابلٌ للتّشكيل بين يديْ كلّ واحد؛ هكذا كانت الأمور يا بيدرو، هكذا كانت، وكانت توجد أيضًا أروقة مرتبكة في بيتنا، وهو أراد الأشياء بهذا النّحو، تجريح أيدي الأسرة بالأحجار الريفية، وكشط دمائنا مثلما تكشط الصخور الجبريّة، لكن هل مرّ ببالك من قبل؟ هل سبق أن فكّرت، ولو لوهلة، أن ترفع غطاء سلّة الغسيل في الحمام؟ هل خطر ببالكَ أن تُغرق يديك المزعزعتين وتُخرج منه بحذر كلّ قطعة أُلقيت فيه؟ كانت جزءًا من كلّ واحد منّا كنت ألتقطه كلّما أغرقتُ يدي فيه، لم يسمع أحدٌ، أفضل مني، صرخة كل فرد، أؤكّد لك أن كلَّ شيء غاضب كان يرقد في ذلك الصّمت الرزين للقطع الحميمية المرميّة في السلّة، وكان يكفي أن ترفع الغطاء وأن تغرق يديك، كان يكفي أن تغرق يديك للتعرّف على التّناقض في الاستخدام، مناديل الرّجال، التي كانت تُفْرش مثل الصواني لحماية نقاء الشراشف، كل ما كان عليك فعله هو وضع يديك لجمع النوم المتجعّد من قمصان النوم والبيجامات واكتشاف الطّاقة الملفوفة والمكبوتة، والتّائهة هناك، في أرق شُعيرة ناعمة من العانة، ولم تكن بحاجة لوقت طويل كي تكتشف البقع الدوريّة، بلون الجوز في قاع المناديل الصحية للنّساء، ولا لسماع صرخات الصّفن الصامتة المتدفّقة التي نشّت ملابس الرجال الداخلية القطنية البيضاء الناعمة، كان ينبغي أن تتعرّف على أجسام جميع أفراد الأسرة، أن تلتقط فوط صحية بين يديكَ ملطخة حمراء كأنها مناديل مجرم، أن تتعرّف إلى كلّ سوائل الأسرة النتِنة والحامضة، تفوح من ثقوب السلّة المليء بالملابس القذرة.

لا أحد أكثر مني غَرز أصابعه فيها، لم يشعر أحد أكثر مني ببُقَع الوحدة، التي أُجهِض أغلبها بشحم الخيال، كان ينبغي أن نفاجئ عظامنا، حينما يبدأ المنزل بالشّخير، وهي تغادر السرير، تتوغّل في الأروقة، وتستمع الى الخفقان وراء كل الأبواب، والارتعاش، والأنين والشهوانيّة النّاعمة لخططنا القاتلة، لم يستمع أحدٌ أفضل مني إلى كل واحد منّا في المنزل، يا بيدرو، لا أحد أحبّ أكثر مني، ولا أحد عرف بشكل أفضل الطريق إلى اتّحادنا، المسار الذي قادتنا فيه بثبات صورة الجدّ، الرّجل الشّيخ الطّويل النّحيل المنحوت من خشب أثاث الأسرة؛ في الحقيقة، كان هو، يا بيدرو، شريان الأجداد الذي يعبر فينا، في طقمه الأسود، الفضفاض على جسده النّحيف، يكشف بشرةَ وجهه البيضاء الجافة؛ الحقيقة هي أنّه قادنا إلى الأبد محبوسًا داخل سترته، وسلسلة ساعة الجيب الخاصة به ترسم خطافًا ذهبيًّا ضخمًا ولامعًا فوق صدره المظلم، كان ذلك الشيخ الزّاهد القديم، المزارع الأخير لسلالة الأجداد، والذي كان في فترة ما بعد الظهيرة يحفظ نعاسه المجفّف داخل السلال والأدراج المبطّنة بعناية في مكاتبنا، هو الذي لم يعد يسمح لنفسه بأكثر من الغموض الغنائيّ، هو الذي كان يضع في طيّة صدر السّترة في الأمسيات الحارّة والرّطبة، زرّ ياسمين من الذاكرة، وكان القدوة للخطوات التي اتّخذناها في انسجام تام، كان دائمًا الجدّ، يا بيدرو، كان دومًا داخل صمت الخزائن البلوريّة، في متاهات الأروقة يجعلنا نخفي مخاوف طفولتنا خلف الأبواب، لم يسمح لنا قطّ، إلّا في جرعات طفيفة، امتصاص العطر الجنائزيّ لألمنا المنبثق من تجواله المهيب عبر البيت القديم؛ كان دليلًا منحوتًا من الجصّ، ليس له عينان، يا بيدرو، جدّنا ذلك، لم يكن لديه سوى حفرتَين عميقتَين فارغتَين في وجهه الكئيب، لا شيء أكثر، يا بيدرو، لا شيء في ذلك الجذع العظميّ يلمع سوى سلسلة خطافه الشرقي الذهبي الرهيب" ، قلت وأنا أصرخ مرتعشًا، أشاهد المفاجأة، والخوف، والرعب المطلق في وجه أخي الأبيض، وكنت ما زلت قادرًا على الصّراخ، "سدَّ أذنيك بأصبعيك" ، أنا الذي كنت أسير في الغرفة من زاوية الى أخرى في جنون شيطانيّ، سقطتُ فجأة على ركبتيّ وجلست متربعًا، ورأيت ارتعاش يده، وكان هو الآن الرّاغب بملء كأسَينا، أما أنا وقد أطاحني الغموض لم أعد أعلم إذا كان يتوجّب عليّ أن أضربه على وجهه أو أن أقبّل خديه؛ وللحظة، وقعنا في صمتٍ مدروسٍ كيْ لا يُزعج أيّ شيءٍ تيّار نَشوتي؛ بين جرعات ضخمة من النبيذ، منقّلًا نظري بين سقف غرفتي ووجه أخي وفي أشياء غامقة لاحت فوق فم أخي، لاحظت كيف يرتّب بعناية نظرةً ولفتةً كانت تحثّني على الاستمرار عندها أردت ان أقول، "لا تقلق يا أخي ،لا تقلق، فأنا قادر على الاستئناف"، بعد كل شيء، ما أهميّة الكلام عن الأشياء بالنسبة لي، كان العالم قد تعرّى بالفعل، كان عليّ فقط أن آخذ نفسًا عميقًا، وأتناول النبيذ من عمق الزجاجة، وأغسل كلّ كلماتي في هذا الكسل الحلو، أحسّ بكل قطرة على لساني، بكلّ حبّة عنب داستها أقدام هذا النبيذ، هذه الروح الإلهية "إنه هذياني، يا بيدرو"، قلت في موجة دافئة، "إنه هذياني"، كرّرتُ، وخطر لي أنه ربما كنتُ بالفعل شريكًا للُّعاب الزيتيّ لتلك الكلمة،

لكن في الواقع، كنت أشعر فقط بالصّدى الأوّل لدمي المالح الكثيف وهو يدور في رأسي، فيقوي زهرةً كانت ضعيفة سابقًا، ويحوّل تلك الديدان المكوّمة إلى وسادة مقدسة، مجرّدة من الزركشة، أريح عليها أفكاري، في تلك اللحظة الرغويّة كنت أعلم وحدي في أية مياهٍ أبحر، وعلى أية أمواج، كنت أعرف الدّوار المالح الذي يسبّب تذبذبي، "إنه هذياني" ، قلت، وأنا في موجة أشدّ عتمة منهكًا من الأفكار الهادئة، من النظرات الحنونة، من الالتواءات الناعمة، فليحترق كل شيء، قدماي، الأشواك في ذراعي، الأوراق التي غطّت جسدي الخشبيّ، جبهتي وشفتّي، طالما دام لي لساني عديم الفائدة، أما الباقي فلا يهم كثيرًا أن يضيع فيما بعد بين دموع الأسرة، شهقاتها وأنينها ؛ "بيدرو ، يا أخي ، كانت مواعظ أبينا غير متناسقة"، قلتُ فجأة برعونة المتمرّد، مستشعرًا، ولو للحظة عابرة، يده تتهيّأ بقسوة بتلك الحركة المؤنّبة لكن سرعان ما تراجعت، بقلق وصمت، كانت اليد الخائفة للأسرة تغادر طاولة الخطبة؛ كم كانت وجوهنا المراهقة حول الطاولة متخثّرة: الأب يترأّس الطّاولة، خلفه ساعة الحائط، كلّ كلمة من كلماته موزونة برقّاصها، ولم يكن في ذلك الوقت أيّ شيء يشتّت انتباهنا أكثر من الأجراس العالية وهي تشير إلى مرور السّاعات.

رضوان نصّار ـ ادواردو سيمويس، 13ـ6ـ1997

فنانو العدد

جواو سوزا

joaosousaphotos.com

ملاحظة تحريريّة:

فيما يلي نصٌّ خَطّه المصور الفوتوغرافي جواو سوزا في تشرين الثاني/نوفمبر 2025؛ لحظةٌ كنا نرجو أن تصير ماضيًا، لكنها تُقحَم من جديد في حاضرنا مع تجدّد العدوان الإسرائيلي على لبنان. في حوارٍ جرى في شباط/فبراير 2026، تساءل سوزا عن جدوى تحديث النص لمواكبة المُتغيّرات المُتسارعة، إلا أننا آثرنا إبقاءه كما هو؛ فسرده الصوريّ كما النصيّ لا يزال نابضًا وقادرًا على نقل الجوهر رغم اتساع رقعة الحرب. يُمثّل هذا النص ما وصَفَه "والتر بنيامين" بـ«المؤشر التاريخي» الذي يربط لحظة بعينها بمتصل زمني يتجلّى في الحاضر، ليذكّرنا بأن الكارثة الحقيقية هي استمرار الواقع على ما هو عليه.

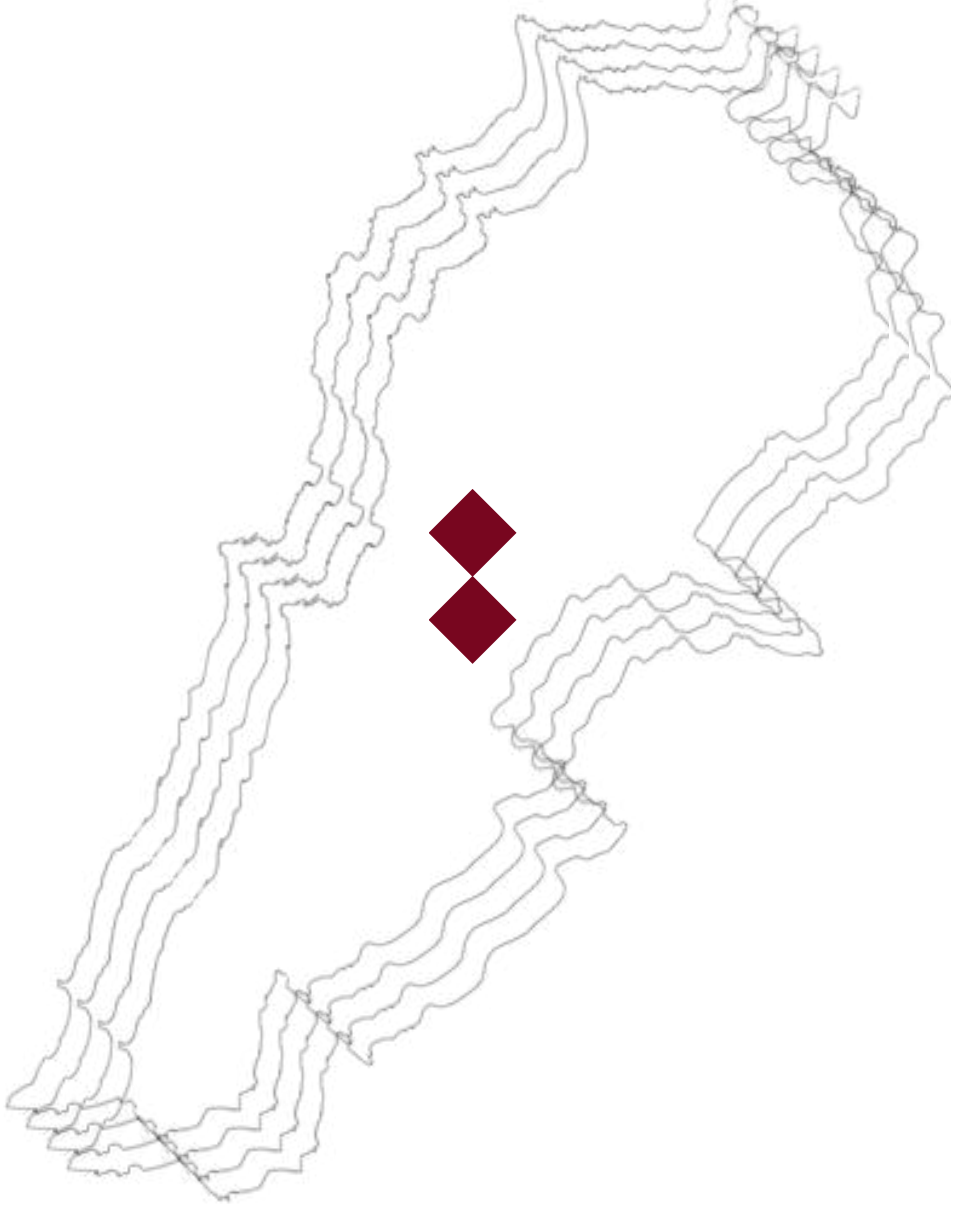

بعيداً عن لغة الأرقام والمضامين الإخبارية، تكمن قيمة هذه المقالة في بنائها الحسي الذي يمهّد للصُور، لتُشكّل في مجموعها وثيقةً تُدين همجيّة الثقافة المُعاصرة، وتُجسّد في الوقت ذاته إرادة الاستجابة لها، واجتراح سبُل العيشِ في مواجهتها.

"لدينا الكثير من الشهداء الآن"، هذا ما قاله علي في طريقنا من بيروت إلى الجنوب بعد أن أقلّني مع زوجتي وابنتنا من المطار فور عودتنا من البرتغال بلدي الأم حيث أقمنا قرابة النصف عام. كانت تلك أطول مدّة قضيناها بعيداً عن عائلة زوجتي اللبنانيّة التي أعتبرها عائلتنا سويّة، والتي عاش أفرادها أحلك أيام الحرب مع إسرائيل وأكثرها دموية، فاضطروا إلى مغادرة منازلهم وتشرّدوا في أنحاء لبنان، بل حتى في بعض مناطق سوريا والعراق. لقد كانت هذه المسافة الجغرافية التي فصلتنا عن العائلة قسوةً إضافيةً حرمتنا من مشاركتهم حزنهم بعد أن فجعنا جميعًا بمقتل أحد أقربائنا أواخر تشرين الأول/أكتوبر من العام 2024؛ حدثٌ لم نستطع استيعابه عن بعد ومشاركة أحبابنا فيه الحداد.

في اليوم الذي تلى وصولنا رأيت بعيني حجم الدمار الذي حلّ بقرية زوجتي مع عدد هائل من لافتات ترفع صور شهداء المنطقة، عندها تأكدت من حقيقة ما قاله علي، كان عدد الشهداء فعلًا يفوق التصوّر.

لم يكن قرار عودتنا إلى لبنان بالأمر السهل؛ فكيف لأي منا أن يعتبر وعد إسرائيل بوقف إطلاق النار ضمانًا للأمان، أو فرصةً لإعادة بناء حياتنا قرب العائلة؟
طبعًا أتت الإجابة على هذه التساؤلات أسرع مما توقعنا، فخلال فترة السلام المُفترضة، كنا نسمع باستمرار أصوات تحليق المُسيّرات الإسرائيلية فوق رؤوسنا، كما تتالت الأخبار عن القصف العشوائي للأحياء السكنية وعن اغتيال المدنيين. دفعنا ذلك إلى التفكير بالرحيل مجدّدًا، للأبد هذه المرة. لم تفارقني وزوجتي فكرة أنّه لربمّا كانت عودتنا إلى لبنان خطأً فادحًا، اصطدمت هذه الفكرة بحرقة التفكير أننا سنترك أحبابنا مجددًا، اعتقادًا بأننا إن فعلنا.. قد لا نلقاهم مرة أخرى أبدًا.

كثيرة هي اللحظات التي سادها الندم على عودتنا هذه. إحداها كانت عندما جاء أقرباؤنا صارخين بهلع لتحذيرنا بأن إسرائيل على وشك أن تقصف حيّنا، مما أرغمنا على الهروب لمنطقة أخرى دون أن ندري إن كان باستطاعتنا الرجوع مرة أخرى، قبل أن يعلن الجيش اللبناني بعد ساعات أنّ العودة إلى المنزل باتت آمنة. ثمّ وفي مناسبة أخرى، فوجئنا بأصوات قصف قرب النبطية، جعلتنا شدة عنفه ومدى قربه نخال فعلًا بأننا لن ننجو هذه المرة. سألتني ابنتي ذات العامين يومها عمّا يحدث وسط شعورها للمرة الأولى في حياتها أنّ هنالك شيئًا غير طبيعي يجري قربها. آلمني هذا كثيرًا وأشعل بداخلي إحساس الذنب لتعريض حياتها لخطر حقيقي.

بدأت صغيرتي مؤخرًا الذهاب إلى المدرسة رفقة العديد من الأطفال النازحين من قرى أخرى دمّرتها وحشيّة الاعتداءات الإسرائيلية خلال ما أُطلق عليه "وقف إطلاق النار"، الذي بدا في الحقيقة أقرب إلى تأكيد أنّ السلام لن يرى النور أبدًا. الضاحية الجنوبية حيث عشت لأربع سنوات كانت مدمّرةٌ لدرجةِ أنّ أحياء سكنية كاملة كانت قد اختفت عن وجه الأرض، ما اضطرنا مرارًا إلى عبور طرق بديلة متجاوزين الركام لأجل أن نصل إلى أماكن كانت يومًا جزءًا من حياتنا.

في بعض الأحيان كنّا ننظر حولنا ولا نعرف أين نحن. هذا أحد أكثر آثار الإبادة الحضريّة (اغتيال المدن) خبثًا؛ أن تُشوَّه مدينتك بفعل الدمار الشامل إلى الحدّ الذي يسلبك مؤقتًا القدرة على التعرّف عليها. بالنسبة لسكّان الحي فهناك الآلاف من العائلات التي تحاول الآن البدء من الصفر بعد أن تم تشريدها بالكامل، والتجّار المحليون يتردّدون في إعادة الاستثمار، لعدم معرفتهم إن كانوا سيُجبرون على إغلاق كل شيء لمرة أخرى في حال تصعيد جديد من جانب إسرائيل، ناهيك عن العدد الكبير من الأشخاص الذين تحدّثتُ إليهم واعترفوا لي برغبتهم في مغادرة لبنان بأسرع وقت ممكن، مع أنّهم كانوا سعداء خلال السنوات السابقة بالبقاء في أرضهم رغم الواقع الاجتماعي والاقتصادي للبلاد والأزمات المتلاحقة التي كانت تعصف به.

بكل حال، ها نحن هنا وسنبقى على الأرجح حتى يستحيل الاستمرار، فوجودنا وبقاؤنا على هذه الأرض بحدّ ذاته هو فعل مقاومة للاحتلال. إنّها أرض زوجتي، هنا تعيش عائلتنا العزيزة، وعلى الرغم من القنابل والتهديدات الإسرائيلية بالتصعيد المتواصل والكارثي ضد لبنان، يبقى مجتمعنا الموحَّد هنا عصيًا على الكسر. نضحك، نقطف الزيتون، ندخّن النرجيلة، نقلق حتى الموت، ثم نضحك من جديد. ها نحن هنا نعيد بناء حياتنا يومًا بعد يوم.

الترجمة عن البرتغالية: يارا عثمان

شهداء
الشهيد السّعيد
نبيل ابراهيم حسن
(أبو شكيب)
شهداء
الشهيد السّعيد
حسين عبد المنعم ابو الحسن
شهداء
حسين أحمد عطوي
محمد جعفر فضل عطوي
بالشّهداء لبّينا

الشهيد المجاهد
قم يا ابن فاطمة

THE CHAMP
JUST GOOD IN EVERYWHERE

متوسطة برج قلاويه الرسمية
BAC
2025

دوغلاس لامبرت

douglaslambert.com.br/bio

إن كان لا بدّ أن أموت

لم أكن أعرف رفعت العرعير قبل أن تتصاعد حدّة الإبادة الجماعية بحقّ الفلسطينيين عام 2023. ومن المؤسف أنّ لقائي الأوّل بكلماته جاء بعد رحيله؛ إذ كانت الفنانة الأميركيّة ميليسا ميندِس قد حوّلت قصيدته الوداعيّة «إن كان لا بدّ أن أموت» التي غرّد بها بالإنجليزيّة على التويتر قبيل اغتياله على يد الجيش الإسرائيلي إلى قصة مصوّرة. نُشر ذلك العمل ضمن مختارات "رسّامو القصص المصورة من أجل فلسطين"، وهو تجمّع فنّي خيري وُلِد من رحم التّضامن لدعم ضحايا المجازر.

أحدَثَت القصيدة في نفسي أثرًا عميقًا، وزادت من صدمتي الرّسوم المرافقة لها وصور الحرب ككلّ. ورغم جمال ورقّة عمل ميليسا، إلا أنني شعرت بأن رؤيتها الفنيّة انحصرت في الواقع الرّاهن لغزة، متمسكةً برمز وحيد للأمل ألا وهو الطائرة الورقيّة. هذا الشعور هو ما دفعني لإعادة قراءة القصيدة بصريًا، وصياغتها في قصة مصوّرة جديدة تنبع من رؤيتي الخاصّة.

بدأتْ رحلتي بترجمة القصيدة إلى البرتغاليّة بمساعدة مجهول، تلا ذلك انغماسٌ طويل في أرشيف صور فلسطين ما قبل النكبة. أمّا تِقنيًا، فقد وقع اختياري على أسلوب الخط الواضح، وهو الأسلوب المميز لقِصص «تان تان»، ببساطته اللونيّة ودقّة خطوطه.

كان استحضار أسلوب هيرجيه (مبتكر تان تان) اختيارًا واعيًا؛ فهذا الفنان الذي انطلق من ماضي بلجيكا الاستعماري البشع وقدّم أعمالًا عنصريّة في بداياته، استطاع لاحقًا أن يتعلّم من أخطائه، ليقدّم منذ ألبوم «اللوتس الأزرق» صورًا أكثر واقعيّة واحترامًا للشعوب. رؤيتي كانت أنّ توظيف هذا الأسلوب وتاريخه الذي يحمل سمات التحوّل والنّدم، سيمنح قوّة إضافيّة لماضٍ أحاول رسمه وتثبيته بعد أن تعرَّض للتّدمير الكامل في الحاضر.

صدر هذا العمل لأوّل مرّة ضمن مختارات دار Crucial Comix عام 2024، ثم أعادت نشره المجلة الأمريكية In These Times (عدد أغسطس–سبتمبر 2025). وفي مطلع هذا العام، وصلت القصة إلى موطن هيرجيه، حيث نشرتها المجلة البلجيكية Apache بترجمة هولنديّة تحت عنوان «Als Ik Moet Sterven». وها هي اليوم لتُنشر للمرّة الأولى في البرازيل عبر مجلة الجالية.

بناءً على قصيدة رفعت العرعير
.وصور من موقع فلسطين في الذاكرة

ترجمه تميم, رسومات دوغلاس لامبيرت

لِتقصّ قصّتي

لِتشتري قطعة قماش
و بضعة خيوط

(بيضاء بذيلٍ طويل)

إذا كانِ لا بدّ أن أموت
فعليك أن تحيا

لِتبيعَ أشيائي

حتى طفلٍ، في مكانٍ ما في غزة
يحدقُ بالسماء

ينتظرُ أباه، الذي غادرَ على عجل -
بلا أن يودّع أحد حتى جسده حتى نفسه -

يرى الطائرة الورقية، طائرتي التي
صنعتُها، تحلقُ عاليًا و يظن لوهلة أن
ملاكا عاليًا يُعيد الحبّ

لتجعلها قصة

لتجعلها تجلبُ الأمل

١٩٣١

إذا كان لا بد أن أموت

مراجعات الكتب

الحدود الفلسطينية:
التحليل النفسي كممارسة للمقاومة

ماركوس فينيسيوس نيتو سيلفا

الترجمة عن البرتغالية: يارا عثمان

يُعلِي التّحليل النفسي من شأن مفاهيم التكرار والعودة وإعادة زيارة الأماكن والذكريات؛ على أمل أن تستنطق النفس فيها، في لحظةٍ ما، دلالات جديدة. بيد أن هذه المفاهيم تَكتسب في الفضاء الفلسطينيّ دلالات مغايرة. فالرّغبة بالعودة إلى الأرض تظلّ عصيّة على التحقّق، أمّا التّكرار فيتحوّل إلى متواليةٍ لا نهائيّة من العنف الاستعماريّ الخانق، في حين يغدو من المستحيل إعادة زيارة ما سحَقَته آلة الدمار الصهيونيّة.

في كتابهما التحليل النفسي تحت الاحتلال «Psychoanalysis under occupation» يخوض المؤلِّفان لارا واسطفان شيحا في غمار هذا المآزق والتوتّرات، مُستكشفين المسافة الفاصلة بين الإمكانات التحرريّة للتحليل النفسي، وبين توظيفه كأداةٍ للإسكات. يقودنا المؤلّفان نحو تساؤلات تمسّ جوهر ممارستنا كمحلِّلين نفسيين في "الجنوب العالمي"، وهو هذا ما دفعنا حقيقةً إلى إعداد الترجمة البرازيليّة للكتاب، والمقرّر صدورها عام 2026 عن دارنا «إديسويس إينانديكواداس».

لارا شيحا

اسطفان شيحا

صدر الكتاب عام 2022، أي قبيل بدء الإبادة الجماعيّة التي ما زالت تنفذّها إسرائيل في غزّة، وقبل تصاعد العنف الاستعماريّ في الضفّة الغربية، وكذلك قبل الهجمات والاجتياحات اللّاحقة على أراضي لبنان وسوريا وإيران. مع ذلك، تظلّ القراءة الدّقيقة التي قدّمها المؤلفان سلاحًا فكريًّا مهمًا للمحلِّلين النفسيين المنخرطين في النّقاشات الرّاهنة اليوم حول فلسطين داخل الحِراك التحليليّ العالميّ.

يتكوّن الكتاب من أربعة فصول تتناول أوجه مختلفة من الممارسة التحليليّة النفسيّة في فلسطين. انطلاقًا من فرضيّة مركزيّة تراعي "الخطوط الديناميكيّة والمرنة بين الاجتماعي والنفسي، وبين السياسي والذاتي، وبين الجماعي والفردي". (شيحا وشيحا، 2022: 91)*.

يركّز الفصل الأول «ممارسة التحرّر من الاغتراب»، على مناقشة حالة أمجد التي تُجسّد التحدّيات النموذجيّة للمحلّل النفسيّ المحليّ، وتفتح تشعّباتها آفاقًا للمقاومة عبر الممارسة التحليليّة. أمّا الفصل الثاني «إرادة العيش في فلسطين»، فيستعرض جهود الفلسطينيّين (المُحلَّلين والمحلِّلين) لابتكار صيغ تؤكّد قيمة الحياة، وهو مسارٌ يمرّ بالضّرورة عبر تفكيك دلالات الانتحار والموت البطيء الذي يفرضه الاحتلال.

في الفصل الثّالث «خرافة براءة التحليل النفسي»، يقدّم المؤلفان تقييمًا نقديًا لمحاولات إقامة "حوار" بين الإسرائيليّين والفلسطينيّين، بوصفها محاولات تميل إلى تجاهل الاختلال الجذري في الظّروف بين الطّرفين. ويمتدّ هذا النّقد ليشمل "حياد المحلّل" كأداة تِقنيّة لتمويه العوامل الأيديولوجيّة الفاعلة أو حتى إخفائها. ويستدلّ المؤلفان هنا بِواقعة تجاهُل الجمعيّة الدوليّة للتحليل النفسي العلائقي والعلاج النفسي (IARPP) للمطالب التي قام بها أعضاء وغير أعضاء لمقاطعة إسرائيل، كاشفين كيف تصطفّ مؤسّسات التحليل النفسي أيديولوجيًا مع الصّهيونية تحت قناع الموقف المُحايد.

أما الفصل الرابع «المساحات العلاجيّة النفسية المُشتركة في فلسطين المحرَّرة»، فيستكشف الكيفيّة التي يفهم بها الأطباء السريريّون الفلسطينيون موقعهم داخل هذه المنظومة، والاستراتيجيّات التي يطوّرونها لمواجهة تواطؤ النظرية التحليليّة النفسيّة مع القِوى التي تُبقي النظام قائمًا. يتم ذلك عبر شهادات حيّة لمحلّلين نفسيين فلسطينيّين عن تخصّصهم وعن التّجارب التي خاضوها تحت إشراف محلِلين نفسيّين إسرائيليّين، مع تركيزٍ خاصّ على كيفيّة توظيف اللغة في هذه العلاقات غير المُتكافئة.

يُختَتَم الكِتاب عبر استحضار أعمال شعراء فلسطينيين لإعادة التّأكيد على رفض موقع الضحيّة الذي غالبًا ما يُعرض على الفلسطينيّين، وتعزيز مقولة أنّ "المقاومة هي ما تُبقينا أصحّاء"؛ كما يعبّر عنها نضال، أحد الأطباء السريريين؛ إنّ مواجهة المعاناة الناتجة عن استمرار النكبة تمرّ عبر بناء أشكال جماعيّة من النّضال، يكون التحليل النفسي جزءًا أصيلًا منها.

المقاومة عبر التحليل النفسي

يعمل الكيان الصهيونيّ منذ تأسيسه على مسارين متوازيين: إعادة كتابة تاريخ الجغرافيا لتبرير وجوده، وإسكات المقاومة الفلسطينية أو إبقائها تحت سيطرته. وكما قال إدوارد سعيد (2012: 122) "كان الهدف السياسي لإسرائيل هو إبقاء العرب مروّضين، عاجزين عن منع استمرار هيمنة إسرائيل عليهم". لكن قد ما قد يغيب عن الكثيرين هو نشاط المشروع الصهيوني في طمس وإعادة كتابة تاريخ التحليل النفسي نفسه. يتجلّى هذا النشاط، على سبيل المثال، في صدور كتابين يسعيان إلى سرد خادع لدخول التحليل النفسي إلى فلسطين ومناقشة الروابط التي أقامها هناك.

في كلٍّ من كتابيه «فرويد في الكيبوتس» و«التحلّيل النفسي في إسرائيل» (منشوران في البرازيل عام 2023)، يقدّم ليبرمان سرديّة يظهر فيها العرب والفلسطينيون كشخصيّات ثانوية تُطِلُّ دائمًا في الخلفية كأخطار دفعت "الروّاد" الصهاينة إلى القتال. نحن هنا أمام سرديّة صهيونيّة فجّة، تمجّد تلك الشّخصيات التي تُقدَّم كأبطال استكشفوا الأرض، بينما تَطمس بشكل منهجيّ تاريخ الشعب الفلسطيني الذي لا يَظهر إلا في سطرٍ أو سطرين كمُجرّد تهديدٍ ينبغي على المستوطنين تجاوزه.

هذا الهدف المتمثّل في المحو، والذي يسعى إليه الصهاينة بإصرار، يصطدم دومًا بحدٍّ واقعي واضح، ألا وهو تعدد أشكال المقاومة والمواجهة التي يمارسها الشعب الفلسطيني الرافض للخضوع والخنوع.

وفي هذا الشأن، يؤكد المؤلّفان بحزم: "إنّنا نُقِرّ بأنّ الاستعمار الاستيطاني الصهيوني ليس هو العامل الوحيد الذي يُشكِّل الهوية والذات الفلسطينية فحسب، على المستويين الفردي والجماعي. وفي هذا السياق، نفهم أنّ الشعوب الأصلية في فلسطين (العرب والأرمن والشركس وغيرهم) تمتلك ذاتية معقّدة تسبق ظهور الصهيونية في فلسطين، لكنها تستمرّ أيضًا في الوجود خارجها."
(شيحا وشيحا، 2022: 22)

يتتبّع المؤلفان، بهذه الطريقة، شهادات المحلّلين النفسيين الفلسطينيين حول الحالات التي يعالجونها، والصعوبات التي يواجهونها، وكيف يتعاملون مع تداخل الواقع الاستعماري مع الإطار العلاجي للتحليل النفسي. يبرز هنا جانب يتكرّر عبر صفحات الكتاب: كيف يواجه المحلّلون النفسيون هذا العنف الذي يقتحمُ فضاءً يُفترض به أن يكون ملاذًا آمنًا للتحليل؟

تقول يعاد، إحدى المحلّلات النفسيات: "يدخل الاحتلال دائمًا إلى غرفة العلاج بشكلٍ أو بآخر"، ويضيف كريم، الطبيب والمعالِج النفسي والناشط السياسي والأسير السابق: "الاحتلال موجود حتى عندما لا يُذكر." (شيحا وشيحا، 2022: 36).

تتقاطع شهادات عدد من الأطباء السريريّين عند فكرة أنّ الاحتلال هو الذي يمنح المرضى اللّغة التي تتشكّل من خلالها أعراضهم. ويعرضان ذلك عبر أمثلة متعدّدة؛ تظهرُ حالة أمجد كنموذج، حين يعجز عن التنفّس والكلام ويشعرُ بوجود كُرة في حلقه، مُستَحضِرًا مشهد إذلاله من قِبل جندي إسرائيلي يمنعه من مغادرة سيّارته هو وابنته ويُجبر الطفلة على التبوّل داخلها وهي تحتضن والدها، هنا يتسلّل الإذلال والإحساس بالاختناق وعنف الاستعمار إلى علاقة الأب بابنته، ويهاجم إدراك أمجد لنفسه بوصفه رجلًا.

في مثال آخر، يخشى المريض المشخَّص بالفصام أن يتجاوز بوابات البلدة القديمة لأنه يعتقد أنه سيطير في الهواء إن فعل.

أما مريض ثالث فلم يكن قادرًا حتى على مغادرة منزله، في حالة قد تُقرأ بوصفها عصابًا وسواسيًا شديدًا، غير أنه يكشف لاحقًا أنه كان قد سُجن في الماضي القريب وقضى عدة سنوات في المعتقل. إنّ هذه الأعراض والأنماط المختلفة من المعاناة المتمثّلة في خوفه من الخروج، ومن ترك أمه، والقلق العميق الذي يعانيه، لا يمكن فهمها بوصفها منفصلة عن الواقع، بل هي جميعها تتشكّل انطلاقًا من الرموز المتاحة داخل الواقع الاستعماري.

لا يتخلّى المؤلفان عن القراءات التحليليّة النفسيّة المُمكنة لمعاناة الفلسطينيين، بل يرفعان من مستوى تعقيدها عبر ربطها بشروط الحياة التي يعيشها هؤلاء الأفراد. يتجلّى ذلك بوضوح في النقاش الذي يقدمانه حول انتحار مهنّد يونس، إذ لا يريانها كمجرّد نتيجة للسياق القمعيّ الذي قيّد حركته فحسب (منع منحه تأشيرة لمغادرة البلاد، بما حدّ من فرصه في الدّراسة والعمل)، بل كتقاطع مع ارتكازات أُسريّة: الهجر والقيود التي فرضها عليه والده (رفض مساعدته في توفير المهر اللازم للزواج، مع التّأكيد المُتكرر على عدم قيمته). تبدو الاستراتيجيّات التي حاول مهنّد من خلالها التعامل مع هذه الضغوط واستيعابها عاجزةً عن أن تفتح أمامه مَخرجًا مُرضيًا، على الرغم من إنتاجه الأدبيّ الواعد. ولا يمكن تفسير ما حدث كإخفاق في آلياته الدفاعية في مواجهة العنف الذي يتعرض له. هنا، قد تظهر وفاته أيضًا ـ للمفارقة ـ بوصفها نوعًا من تأكيد الحياة. وبدلًا من السّعي إلى تفسير أسباب الانتحار، يبيّن المؤلفان كيف يتعرض مهند (وكل من يعيش تحت الاحتلال الصهيوني) لتضييق متزايد في الحيّز الوجوديّ الذي يمكّن للفرد أن يتحرك فيه بحريّة، وهو ما يستهدف في النهاية تدمير النّفس.

باتخاذ هذه الحالة مثالًا، وعبر مناقشة جوانب مختلفة من العمل السريري في سياق الاستعمار، يتضّح بروز فكرة مفادها وجود "توازٍ بين الواقعين المادي والنفسي، وبين الكيفيات التي يتمكّن الفلسطينيون من خلالها، أو يعجزون، عن استقلاب المعاناة الشخصيّة والجماعيّة نفسيًا" (شيحا وشيحا، 2022: 88).

حياد أم تواطؤ؟

يطرح سياق العنف الاستعماري الاستيطاني الصهيوني تحدّياتٍ لكلّ من المرضى والمحلِّلين على حدٍّ سواء. فكثيرًا ما يعمل علماء النفس والمحلّلون النفسيّون الفلسطينيّون وهم أنفسهم خاضعون لسيطرة النظام الصهيوني أو لتهديدها.

يتجلّى ذلك، مثلًا، كما تروي يعاد، إمّا في الإلزام بوجود مشرف إسرائيلي يضغط عليها لتوجيه الحالة في مسار معيّن، الأمر الذي يضطرّها إلى ابتكار سبل للمراوغة كي تجعل الإصغاء التحليلي ممكنًا، أو في ضآلة تمويل العيادات التي تقدّم خدماتها للعرب، ما يفرض بدوره قيودًا واسعة الأثر، بحسب ما يشير علي.

غير أنّ المؤلفَين لا يحصران تأمّلاتهما في حدود الاهتمام باتجاه العلاج أو بمشكلات التقنيّة التحليليّة النفسيّة. بل يسعيان إلى مساءلة المؤسّسات التحليليّة النفسية التي تتحالف، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، مع إسرائيل. فيستعينان، عبر نقد الحياد الزّائف للمحلّل، بأمثلة من مؤسسات تنظّم مؤتمرات في إسرائيل، حتى في ظلّ الاحتجاجات ونداءات المقاطعة.
ويتّضح أنّ المبادرات التي تقترح إقامة "حوار" بين الطرفين تنتهي عمليًا إلى إضفاء الشرعيّة على الموقف الصهيوني وإلى طمس طبيعة الصّراع. وهكذا، فإن "هذه المبادرات غارقة في منطق "الطّرفين المتساويين زيفًا"، ويُشار إلى وجود صدمتين متشابهتين (المحرقة/ النكبة)، وإلى عنفٍ متبادل. وفي نهاية المطاف، لا أحد مذنب/الجميع مذنب." (شيحا وشيحا، 2022: 126–127).

يجد هذا الموقف صدى لدى الكثير من المحلّلين النفسيين في البرازيل، الذين يكرّرون إدانةً شكليّة لـ"عنف الطرفين" ويدعون إلى حلٍّ عبر "الكلمة"، بينما في الواقع، يدور الحوار هنا بين "السيف والرقبة" بتعبير غسّان كنفاني. تكمن قوة كتاب "التحليل النفسي تحت الاحتلال" في استهدافه لشخصيّات كهذه، وكشفة كيف أن أنماط الشرعنة المنتجة داخل مختبرات البحث ومدارس التحليل النفسي تعمل حقيقةً لخدمة الآلة الإسرائيليّة الإباديّة، وكيف يُسهم في موت الفلسطينيين أيضًا أولئك الذين يمدّون الاحتلال الإسرائيلي بشرعيته الفكرية؛

> "[...] الأكاديميون الذين يستسلمون للغطرسة وللتأويلات الخاطئة المتعمَّدة، الذين يشوّهون فكر فرانتز فانون ووالتر بنيامين، وينكرون الطبيعة الإنسانية، ويجادلون حتى في قوانين الفيزياء لتجريم مقاومتنا" (الكرْد، 2025: 15)

يضعنا المؤلفان، على امتداد فصول الكتاب، في مواجهة مباشرة مع الاستراتيجيّات القاسية التي يعتمدها نظام الفصل العنصري الإسرائيلي لمحو الوجود الفلسطيني وإحكام السيطرة عليه، في المقابل، يستعرضان أشكال المُواجهة والمُقاومة التي يطوّرها الفلسطينيون خصوصًا، والعرب عمومًا. أما فيما يخصّ التحليل النفسي، فيشيران كما ذكرنا سابقًا إلى استخدامه كأداة لإضفاء الشرعيّة على الصهيونيّة وتشخيص المقاومة بوصفها مَرَضِيَّة؛ بيد أنّ الأمر أعمق من ذلك أيضًا، إذ يرى المؤلفان إن

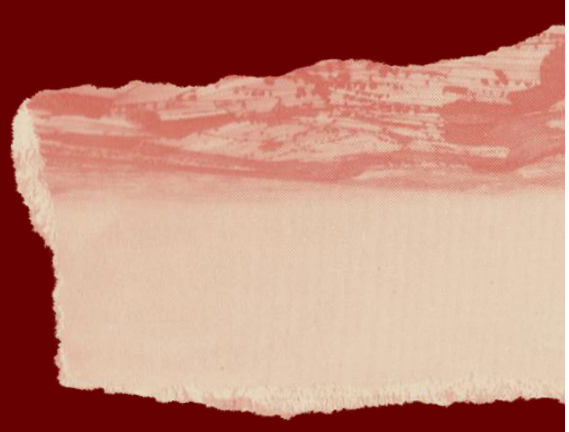

"مجرّد رسم خريطة أوليّة لتاريخ تمثيلي للتّحليل النفسي العربي أمرٌ بالغ الصّعوبة، لأن الاستعماريّة الكامنة في التّحليل النفسي ذاتها تقصي العرب والشعوب المستعمَرة وتضعهم 'خارجَ' تقاليده. فنحن، بوصفنا شعوبًا مُعرقَنة ومستعمَرة، لا يُسمح لنا بالولوج إلى التّحليل النفسي إلا بوصفنا مرافِقين يكرّرون منطقه ولغته الاستعماريّين" (شيحا وشيحا، 2022: 18).

إنّ جوهر النّزاع، وما نناضل من أجله، لا يقتصر على الحدود الفلسطينية التي اجتاحها الاحتلال الصهيوني فحسب، فالمعركة التي تعنينا كمحلِّلين نفسيين أيضًا هي معركة حول حدود الحقل التحليليّ ذاته. إلى أيّ مدى نمتلك الجسارة للمضيّ بإدماج نقاشات وتأمّلات من حقول معرفيّة أخرى كي يصبح التّحليل النفسي فعلًا ممارسةً تحرّرية؟ وما هي الجذور التي سنضطرّ إلى اقتلاعها قسرًا من صميم تخصّصنا لئلّا نواصل إعادة إنتاج العنف والسيطرة والخضوع؟ ومتى سيحين الوقت لنواجه بُنى وهياكل السلطة داخل مؤسّساتنا، تلك التي لا تكتفي بالتواطؤ مع الهيمنة، بل تتربّحُ منها أيضًا على حساب الفلسطينيين وما يشمل أيضًا شعوبًا عديدة أخرى في الجنوب العالمي؟

أخيرًا وبعد الانتهاء من قراءة ما يقترحه كتاب «التحليل النفسي تحت الاحتلال»، ينبغي لكلّ محلّل نفسي أن يسأل نفسه: إلى أيّ حدّ هو مستعدّ للتّنازل والمساومة أمام هذا النظام (الاستعماري، الأبوي، الرأسمالي)؛ أن يتأمّل في قيمة كرامته، ليقرّر إن كان سينحاز بصلابة إلى صفّ "معذَّبي الأرض"، مُفعِّلًا الإمكان التحرّري الكامن في التحليل النفسي. إن كان هذا هو مسعاه، فإننا نجد في كتاب «التحليل النفسي تحت الاحتلال» خريطةً فكريّة ووجدانيّة لا غنى عنها.

*تمّت ترجمة كل الاقتباسات الواردة في المقال إلى العربية عن مصادرها الأصلية المذكورة في "المراجع". (المترجمة)

المراجع:

المراجع
الكرد، محمد. (2025). ضحايا مثاليون وسياسات الاستجداء. شيكاغو: هايماركت بوكس. (بالإنجليزية: Perfect victims and the politics of appeal).

سعيد، إدوارد. (2012) [1992]. قضية فلسطين. ترجمة: سونيا ميدوري. ساو باولو: دار نشر جامعة ولاية ساو باولو ـ أونيسبي (Unesp). (العنوان الأصلي بالبرتغالية: A questão da Palestina).

شيحا، لارا؛ وشيحا، اسطفان. (2022). التحليل النفسي تحت الاحتلال: ممارسة المقاومة في فلسطين. نيويورك: روتليدج. (بالإنجليزية: Psychoanalysis under occupation: practicing resistance in Palestine

فى جعبة الظرفاء

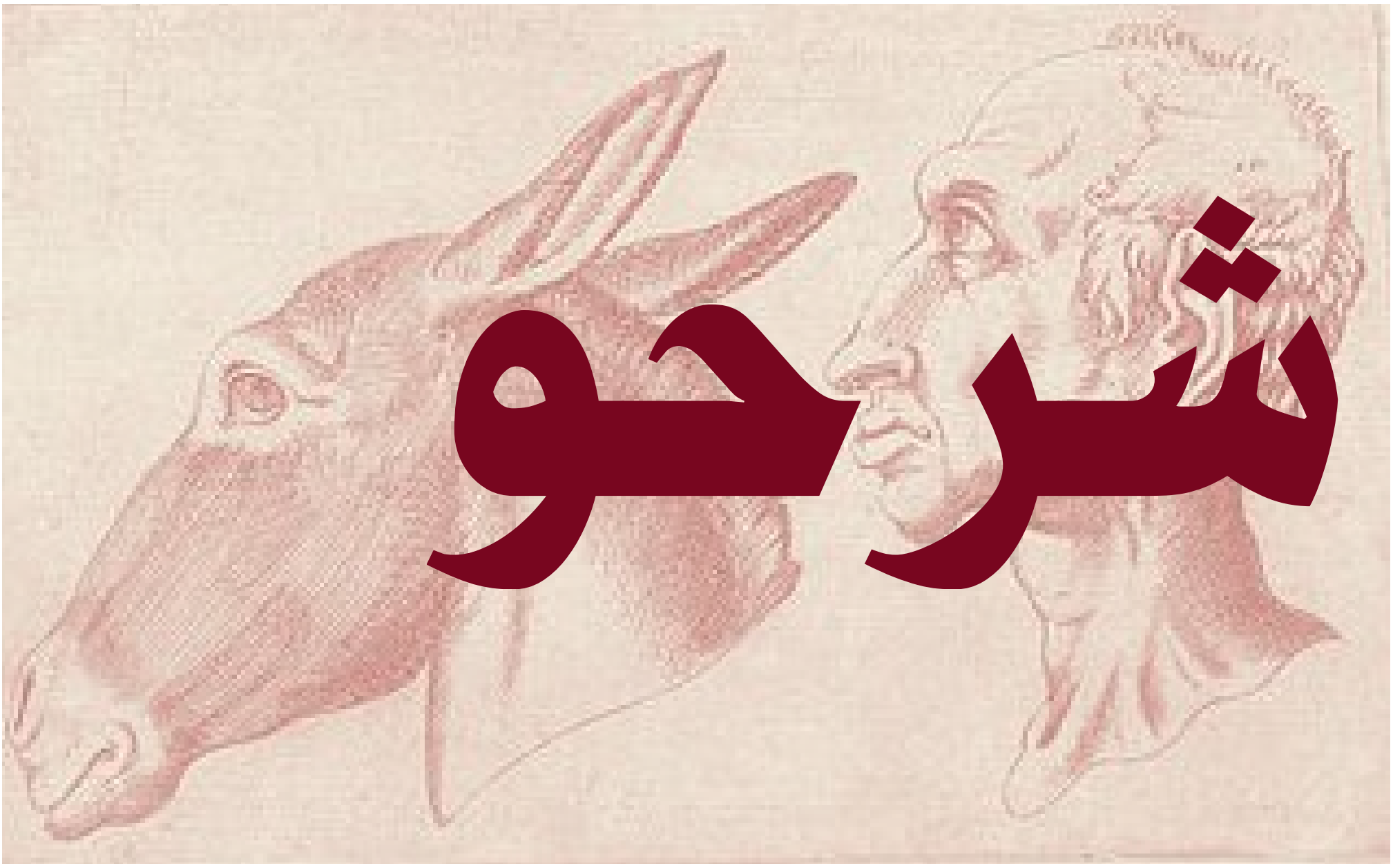

شرحو

سامي يواكيم الراسي

نُشر في العدد 50 من مجلة الجالية، بتاريخ 30/11/1923

لا أُخطئ إذا قلت إن من كل عشرة بُسَطاء من قرّاء الجالية، أربعة يعرفون من هو جبران بندقي، وأغلب هؤلاء يعرفونه بوصفه التاجرَ المجتهد أو الصديقَ الوفي، على أن أكثرهم قد لا يعرفون أنه الأديب خفيف الروح، المحبّ للنكتة، الحاضر الجواب.

والنكتةُ التاليةُ له، وإذا لم تكن من وضعه هو، فلا شكّ أنه الذي صحّحها وضبطها ووقف على طبعها.

إلى مائدةٍ من موائد مطعم يوسف لطفي جلس جبران، وعزيز سمين، وبشارة محرداوي، وجميل محرداوي، وشكيب جراب، وشفيق غبريل، وزكي ذيب، وأمين سرياني، وشفيق خوري، وميخائيل ملوحي، وميخائيل ناصيف فرح، وأنيس الراسي، وعبد اللطيف يونس (مع حفظ الألقاب). وكانت صحفة الخُضَر أمام جبران، فأراد أنيس الراسي مداعبته فقال: "يا جبران، لم نترك من الحشيش شيئًا!

فأجابه هذا: وإنت شرحو!

فقال عزيز سمين بلهجته المصريّة:
شمعني يا سي جبران؟

أجاب:
زعموا أن طنّوس بطرس جاء بزوجته فسكن معها في بيتٍ في شارع **25 دي مارسو**[*]. وكان طنّوس شبعان، ففتح حسابًا مع جاره السّمّان، على شرط أن يدفع له الحساب في آخر كل شهر. وكانت الخادمة تأخذ دفتر الحساب كلما أرادت شراء شيء، فيعطيها السّمّان مطلوبها، ويُقيّد في الدفتر اسم البضاعة وكميتها وثمنها، ثم يعيده إليها لتأخذه إلى مولاتها. ولدى انقضاء الشهر، أخذت امرأة طنّوس الدفتر لمراجعة الحسابات. فما إن انتهت من قراءة الصفحة الأولى حتى انتفضت، وأخذ منها الغيظ أشدَّ مأخذ، وما كادت تصدّق حتى عاد طنّوس إلى البيت، فبادرتْه بقولها:
"يا رجل، أنت تأتمن السّمّان ليسرقنا؟ كأنّ المال يأتي بلا تعب!

أجاب طنّوس:
ماذا تعنين، يا مرا؟

قالت:
خُذ الدفتر وانظر: بين كل نفدةٍ وأخرى يُقيّد هذا المنقوم: شرحو! ونحن ما اشترينا شرحو، ولا رأينا شرحو، ولا دخل شرحو بيتنا! فالأحسن أن تذهب إلى هذا اللص وتُفهمه أنه صعب أن يسرق الأوادم اللي يقرو ويكتبو.

فقتل طنّوس شاربيه وقال:
الحقّ بيدِك يا مرا، هاتي الدفتر لنشوف كيف المسألة.

وحمل الدفتر وذهب إلى جاره، وقال:
هيك تكون الأوادم يا جار الرضى أمناك، وحطّينا أملنا فيك، حتى تعمل حسابك حسابين؟ ما شاء الله على هالأمانة!

[*] يُعَدّ شارع «25 دي مارسو» من أبرز المعالم التجارية في قلب مدينة ساو باولو، وقد ارتبط تاريخيًا بالحضور العربي منذ أواخر القرن التاسع عشر، حيث استقرت فيه العديد من المتاجر التي أسسها مهاجرون عرب.

فذهل السّمّان وقال:
لست أدري ما تعني يا صاحب.
فأجابه طنّوس:
ومن أين أتيت بشرحو بين كل نفدة ونفدة، حتى تعمل الحساب مُضاعف ما هو، ونحن ما طلبنا شرحو ولا نعرفه، ويكون سمًّا في بطوننا إن كنّا ذُقناه!

فضحك السّمّان وقال له:
هات الدفتر يا طنّوس. في الخامس من الشهر أخذت الصانعة كيلو سكر، وفي السادس منه عادت فأخذت كيلو ثاني، وسعر الكيلو أربعة عشر غرشًا. وفي السابع منه أخذت نصف كيلو سمنة، ثم عادت في ذات النهار فأخذت نصف كيلو آخر. وشرحو تعني: مثله، أو أيضًا، أو ايدم التي تُعيدها كلما أُخذت أمتار أثواب القماش. أفهمتَ الآن؟

فطأطأ طنّوس رأسه وقال:
الحقّ بيدك، لا تواخذني يا جار.
ودفع الحساب، وعاد إلى بيته، فوجد زوجته على الباب ناطرة رأس كُليب. فلمّا داس العتبة قالت له:
شو لقيت يا رجّال؟ وشو قالك هالمنقوم؟
قال لها:

قلّي يا مرا
إني حمار...
وإنتِ
شرحو!

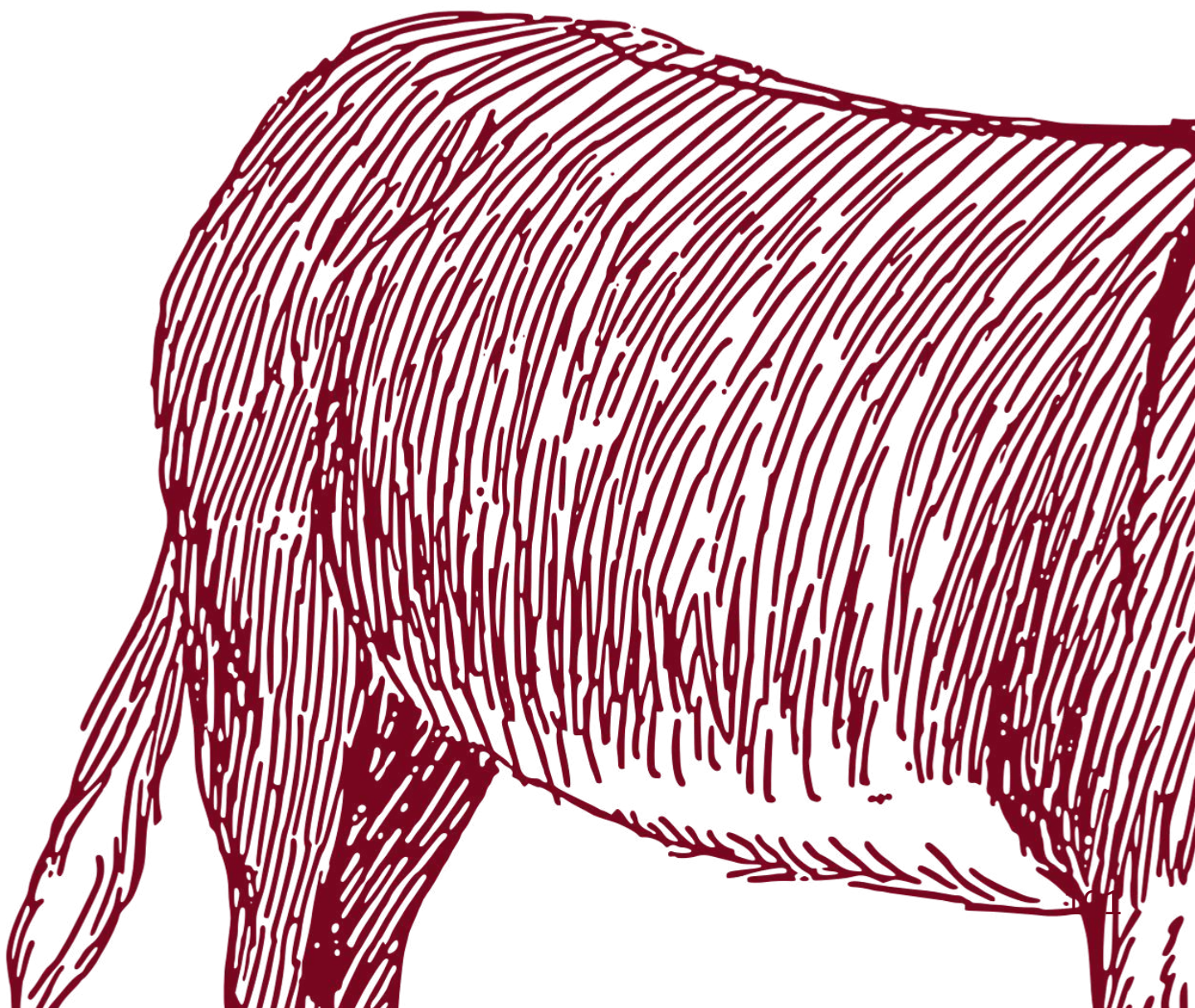

نبذة عن

المؤلفين

صفاء جبران

أستاذة للغة العربية والأدب العربي الحديث في جامعة ساو باولو، ومترجمة حائزة على عدة جوائز منها جائزة الأكاديمية البرازيلية للترجمة (2014)، وجائزة الشيخ حمد للترجمة والتفاهم الدولي (2019).

موفق الحجّار

شاعر وفنان وباحث سوري مستقل يقيم في أستراليا. حاصل على الماجستير في الأدب المقارن. تستكشف ممارسته الفنية والأدبية موضوعات الغياب عن البيت، والتذكر، والعدالة المكانية وسياسات الذات. يكتب موفق في عدد من المجلات الأدبية والثقافية، وله مجموعتان شعريتان. أسس مجلة «شعر ومعر» وحصل على جائزة أفضل شاعر مهاجر في كوالالمبور 2017.

سامي يواكيم الراسي
(صيدا، 1880 - ساو باولو، 1927)

كاتب، مترجم، صحفي، ومؤسس مجلة الجالية. من بين العديد من مؤلفاته برز «كتاب الواجبات» الذي صدر عام 1911.

غوستافو الراسي

أستاذ بديل في قسم الأنثروبولوجيا في الجامعة الفيديرالية لولاية بارانا في البرازيل (UFPR). باحث في الجامعة الكاثوليكية في ساوباولو (PUC-SP)، والجامعة الفيدرالية لولاية ساوباولو (UNIFESP)، وهو أحد مديري مجلة الجالية.

جواو سوزا

مصور فوتوغرافي وصحفي. عاش لمدة خمس سنوات بين البدو الرحّل، والأناركيين، والفنانين، واللاجئين، والرعاة، قبل أن يستقر لاحقًا في لبنان. تعاون مع عدة مبادرات، مثل الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (USAID)، ومنظمة الإغاثة الكنسية النرويجية (Fairtrade)، ومبادرة The Volunteer Circle.

ماركوس فينيسيوس نيتو سيلفا

أخصائي ومحلل نفسي، حاصل على درجة الدكتوراه في علم النفس من الجامعة الفيدالية لولاية ميناس جيرايس (UFMG). مترجم وعضو في مجموعة البحث المستقلة حول التحليل النفسي وفلسطين، وفي مجموعة البحث المعنية بالجماعات والعيادات العمومية للتحليل النفسي في بيلو هوريزونتي.

دوغلاس لامبرت

محرر فيديو، كاتب سيناريو، صحفي ومصور. كان جزءًا من الفريق الفائز بخمس جوائز عن عمل معركة "A Batalha de Belo Monte" من العام (2013)، بما في ذلك جائزتا إكسون موبيل للصحافة وفلاديمير هيرتزوغ للعفو وحقوق الإنسان.

مصطفى لطفي المنفلوطي
(1924 - 1876)

روائي وكاتب مصري. اشتهر بإتقانه للغة العربية من خلال تكييفه لعدد من المسرحيات الأوروبية. وكان من أبرز الكتّاب في مطلع القرن مازجًا بين الحس الإصلاحي والحداثة.

أدما مهنا

أستاذة في الأدب البرتغالي بجامعة ساو باولو (USP) حاصلة على درجة الدكتوراه في الفلسفة من تفس الجامعة (1996). أنجزت أبحاث ما بعد الدكتوراه في مدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية في باريس (EHESS) عام 2012، وفي مركز مركز شبكة البحوث في الأنثروبولوجيا في لشبونة (CRIA–ISCTE) بين 2017 و2018.

رضوان نصّار

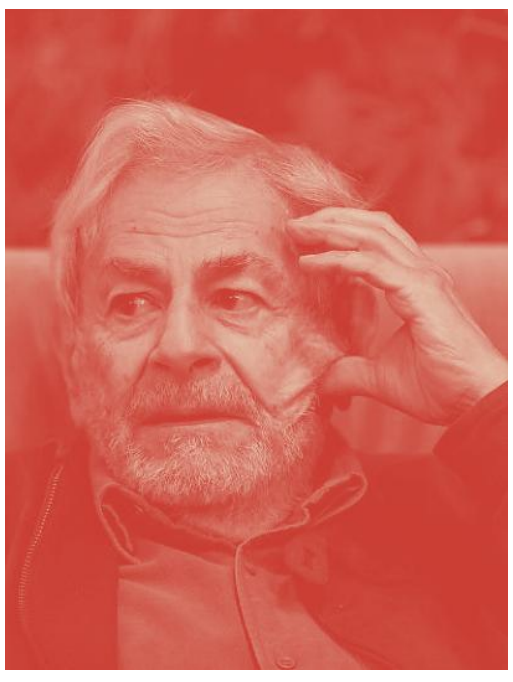

كاتب برازيلي من أصل لبناني، يُعدّ من أبرز الكتّاب البرازيليين المعاصرين. حاز على جائزتي جابوتي (1976 و1998) وكامويس (2016)، وقد تُرجمت أعماله إلى عدة لغات.

الجالية

aljaliahbr@gmail.com

تابعونا على وسائل التواصل الاجتماعي